موضوعات الكتاب

الصحيفة	
١	أهم المصادر
٣	المقـدمة
٦	الخلافة ونظم الحكم
٦	الخلافة
٧	بيت الخليفة
١١	شكل التعيين
١٩	نظريات الفرق
٢٨	شبه المستشرقين
٣٤	حكومة الراشدين
٣٩	نظام الشورى
٤٠	الادارة
٤٥	الجيش
٤٨	بيعة السقيفة واستخلاف أبي بكر
٤٨	وفاة الرسول
٥١	مؤتمر الانصار
٥٢	سقيفة بني ساعدة
٥٤	وصف عام للمؤتمر

الصحيفة	
٦٣	أسباب الدعوة لمؤتمر
٦٦	نتائج المؤتمر
٦٨	الشورى
٦٩	الانتخاب
٦٩	البيعة
٦٩	برنامج الحاكم
٧٠	نشوء الفرق
٧١	بيعة أبي بكر
٧٤	تقدير أبي بكر
٧٨	خلاف علي وبني هاشم وما قيل فيه
٨٨	**حروب الردة**
٨٩	اسباب الردة
٨٩	المتنبئون
٩٣	بعث اسامة
٩٥	نصيحة ابي بكر
٩٧	الدفاع عن المدينة
٩٨	الهجوم على المرتدين
١٠١	نتائج حروب الردة

الصحيفة

١٠٢	الفتوح الاسلامية فى عصر الراشدين
١٠٢	اسباب الانتصار
١٠٦	الروم
١٠٧	الفرس
١١٠	حروب ابى بكر
١١٢	مع الفرس
١١٨	خالد بن الوليد ومالك بن نويرة
١٢٢	مع الروم
١٢٨	تذييل

أهم المصادر

نشير فى هذا إلى ما ينبغى أن يرجع الطالب إليه فى كتب التاريخ الاسلامى لتوسيع مداركه وإلمامه بتاريخ حقبة من اثري أحقاب الدنيا بالعظمة والجلال . وها هى ذى أهم تلك المراجع :

١ — كتاب تاريخ الامم والملوك للطبرى

٢ — » » الكامل فى التاريخ لابن الاثير

٣ — » العبر العبر لابن خلدون

٤ — » مروج الذهب للمسعودى

٥ — » تاريخ الاسلام السياسى للدكتور حسن ابراهيم

٦ — » محاضرات الامم الاسلامية المرحوم محمد بك الخضرى

٧ — » حياة محمد للدكتور هيكل باشا

٨ — » الخلافة للسير توماس ارنولد (بالانجليزية)

٩ — كتاب المرآة الوضية للمستشرق فان ديك الامريكانى (معرب)

١٠ — » تاريخ العرب لسيد أمير على (معرب)

١١ — » مذكرات أصول الدين في تاريخ الخلفاء

١٢ — » الخلفاء الراشدين للمرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار

١٣ — » تيسير الوصول لابن الديبع الزبيدى اليمنى

بسم الله الرحمن الحيم

مقدمـــة

دراسة التـاريخ من ألزم الدراسات بين سأر العـلوم والفنون ، وليس من شك فى أن كل إنسان مدفوع بطبعه لدراسة تاريخ أسرته وبلده ووطنه وأمته وأسلافه الاقدمين لمعرفة المدى الذى بلغوه والوسائل التى اسـتخدموها حتى يتجنب أخطاءهم ويقتفى آثارهم فى الحسن من أعمالهم .

وان تاريخ الاسلام مع كثرته وضخامتـه ليرجع فى أصـله الى عصرين متشابكين . الاول منهما عصر النبـوة الصافى . والثانى عصر الخلافة الرشيدة التى كان رائدها المثل الأعلى فى الدين والاخلاق ، والحرب والسياسة وأولئك هم لرجال الذين قادوا الدولة الاسلاميـة في ذلك العصر . هم أبو بكر وعمـر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وجزاهم عن

الفضيلة والمبادىء خير الجزاء

على أننا سوف نرى إذ نعرض لبسط الاحداث في ذلك العصر الثانى الذى نحن بصدده وان قد بدأ يبدو تحول ظاهر عن عصر الرسول الكريم ، كما أننا سنشهد كثيراً من نشوء شتى الميول والاهواء التى لم تكن فى عصر النبوة وسنحاول جهد المستطاع أن نعلل الحوادث وأن نعلق على آثارها ، وأن نعطى صورة واضحة عن ذلك العصر ، بحيث تكون مجردة من الحق ، وعارية إلا من الواقع .

أما طريقتنا فى العرض فتتلخص فى أننا نعرض الاحداث - فى إيجاز مناسب - ثم نعقب بالرأى بعد أن نزن تلك الاحداث بميزان الحق والواقع الذى تقرره المستندات التى تنص عليها أو نرجحها وإن لم نجد ذلك حاولنا أن نقارن بين الماضى والحاضر وأن نزن القديم بالحديث ثم نحاول الاستنتاج على هذا الضوء الذي لا يكاد تطمس له معالم .

أما الموضوعات التى سنقصر الحديث عنها فى هذا

القسم من الكتاب فهى :

أولا ـ الخلافة ونظم الحكم في عهد الراشدين الاربعة

وثانيا ـ بيعة السقيفة واستخلاف أبى بكر وحروب الردة .

وثالثاً — الفتوحات الاسلامية فى عصر الأربعة الراشدين .

وسنحاول ما أمكن أن نوجز الحوادث بما يتفق مع منهج الدراسة فى أصول الدين للسنة الثانية ، مراعين فى ذلك ثقل العبء فى المواد الاخرى المقررة على الطلاب فى هذه المرحلة من التعليم .

واننا لنضرع الى الله وحده أن يعيد للاسلام مجده ، ولبنيه عزتهم ، وأن يوفقنا لما فيه رضاه ، إنه نعم المسئول ، ونعم المجيب

[الخلافة ونظم الحكم فى عصر الراشدين]

الخلافة — بيت الخليفة — شكل التعيين — نظريات الفرق — حكومة الراشدين — نظامهم الشورى — الادارة — الجيش .

الخلافة

كانت زعامة المسلمين فى حياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، تتركز فى شخصه ، وكان بذلك يضطلع بوظيفتين (١) التبليغ عن الله لشتى شرائع الاسلام (٢) وإمامة المسلمين لتوجيههم الى النافع وإبعادهم عن الضار فى تلك الحياة .

واذ كان محمد ـ حسبما تقرر من تعاليمه ـ خاتم النبيين ، فقد انتهت الوظيفة الاولى ، وبقيت المسألة الثانية وهى امامتهم الدنيوية ، فلما توفي الرسول وعلم باخبر أتباعه انجهت أنظارهم الى من يخلفه فى قيادتهم وتوجيههم ، وفعلا ثاب الأنصار الى سقيفتهم وأخذوا يتشاورون فى تعيين ملك عليهم يشرف على تنفيذ مبادىء الاسلام ، ويحفظ عليهم الدولة العربية فى المدينة تحت راية الاسلام .

ولم يكن المهاجرون أقل شأناً من الأنصار فى هذا المضمار فأنهم بمجرد أن تبلغهم أنباء السقيفة لا يستقر لهم قرار حتى يسرعوا الى الانصار وينازلونهم بالحجج والبراهين على أنهم أحق بالخلافة منهم وأنهم عشيرة الرسول وأهله الأقربون ثم تنتهى المسألة بانتخاب أبى بكر من المهاجرين سنفصله إن شاء الله فيما بعد فى موضعه .

بيت الخليفة

على أن هذا الذى حدث فى السقيفة كان منشؤه فى الحقيقة اختلاف وجهات النظر فى البيت الذى يختار منه خليفة الرسول فالأنصار يرون أنهم أصحاب العاصمة الاسلامية وأن فى تصريحات رسمية من الرسول ما يعطيهم الحق فى أن يكونوا ولاة الأمر من بعده ، وأن هجرة الرسول عن بلده وقومه واتخاذ وطنهم وطنه ، وتأسيس دولته بينهم ما يجعلهم خلفاءه فى الدولة ، وأمراء المسلمين من بعده .

وعلى ذلك نستطيع أن نتبين من نظرية الأنصار أنهم يريدونها قومية محلية باعتبارهم أصحاب البلد وأهل الحل

والعقد فيه وأن المهاجرين جالية أجنبية يجب أن يخضعوا لحكمهم ، او يجلوا عن وطنهم . وبهذا كان يتحدث خطباء السقيفة .

وليس صحيحاً أن الأنصار كانوا يرون عدم التخصيص ببيت أو قبيل . إذ الواقع أنهم كانوا يرون قصر الخلافة على قبيل الأنصار من بنى ثعلبة . فهم سواء مثل القرشيين الذين يريدون أن يجعلوها فى بيت قريش . وإن كان الفريقان على طرفى نقيض . الأنصار يريدون أن تكون الامارة فى الأوس والخزرج أصحاب يثرب . والمهاجرون يريدون أن تكون فى طبقة خاصة من مكة وهى مهاجرة قريش من المسلمين السابقين وكان بطل النظرية القرشية بالمعنى السابق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ومن على رأيهم من المسلمين .

كان الى جانب هؤلاء الطبقيين من الأنصار ومهاجرة قريش ، فريق ثالث هم القرابة القريبة من الرسول ، مثل على والعباس من بنى هاشم ، وهؤلاء ومن على رأيهم يرون أن تكون الخلافة فى أخص الطبقة القرشية من بنى هاشم

على أن نظرية القرابة القريبة — فى الواقع — كانت أقرب الى السلامة من النظريتين السابقتين ، لو أن المسألة كانت وراثية ، أو مقررة فى المبادىء الاسلامية .

ولكن الذى حدث غير هذا . فأن الكتاب — وهو دستور محمد — لم يشر أية إشارة الى من يخلف الرسول من بعده .

كذلك سنة النبي وتعاليمه واضحة فى نبذ العصبية والنسب وصريحة فى وجوب الاعتماد على الكفاية والمقدرة الى جانب الشورى الكاملة التى هى من أخص نعوت المسلمين .

ولقد كانت حجج مهاجرة مكة تحوم كلها حول شىء واحد وهو أن قريشاً زعيمة العرب ولا تأنف قبيلة منها من سيادتها ، لمجدها القديم ووضوح زعامتها ، ولم يعرض أبو بكر — وهو سيد المهاجرين وخطيبهم فى السقيفة — لشىء سوى هذا . اللهم إلا بعض لفتات خفيفة نبه بها الانصار اليها مضافة الى منزلة قريش وذلك مثل ان مهاجرة

قريش زعيمة العرب ، رهط الرسول الأقربون ، وعشيرته وأهله وأولى الناس بخلافته .

وهذا فى الواقع لا يعدو أن يكون تعزيزاً لحق قريش فى سيادة العرب . ولكن فى بعض بطونها ممن حمل لواء المبادىء المحمدية ، وضحى فى سبيلها . فذانك برهانان يقوى أحدهما الاخر ، ويعزز حق المهاجرين فى خلافة النبي القرشى ولعل فى هـذا ما يشير الى أن تعـاليم محمـد لم تكن لقلب الأوضاع وهدم النظم ، ولكن لاصلاحها وتهذيبها ، وإزالة العوائق من سبيلها حتى تخدم الدين ، وتسعد الانسانية على أن العرب كانت ولما تزل تدين بالعصبية ، وتتداعى بالاحساب ، ومن غير المنتظر أن يدينوا لغير قريش سادنة البيت الحرام ، وأسرة الرسول الكريم .

فلو أن الانصار إنتصروا وكانت الخلافة فيهم لتصدع بناء الدولة الاسلامية ولنشبت الحروب الاهلية ، ولقضى على الدولة الناشئة قبل تدعيمها وتنظيمها .

والذى يغنينا من كل ماسبق ، ان المسلمين بعد وفاة

الرسول كان كل همهم أن يختاروا أميرا عليهم ينفذ تعاليم نبيهم ويوجه جماعتهم ، وانهم اشتوروا وقلبوا وجوه الرأى وتضاربت أراؤهم فى البيت والاسرة ، والمقدرة والكفاية وإن كل ما حدث لم يجاوز حد المسائل العادية التى تحدث بين كل جماعة تسعى فى اختيار رئيسها ، لتفوض اليه الاشراف على شئونها.

والسبب المباشر لكل ذلك هو فى الواقع محاولة انتخاب الاصلح لادارتهم ، القدير على تدبير دولتهم وادارتهم وقيادتهم ،

ولا يمكن أن نطلق على هذا اسم النظريات الا من ناحية واحدة ، وهى مانجم عن ذلك فيما بعد بين الفرق الاسلامية ووضعها اراء ونظريات عزتها الى ذلك الحادث الساذج الذى وقع المسلمين بعد وفاة نبيهم .

ليست رئاسة القبيلة عند العرب وراثية ، إنما هى شكل التعيين انتخابية محضة ، يراعى فيها مبدأ الانتخاب العام ، ولجميع أفراد القبيلة حق إعطاء أصواتهم فى انتخاب رئيسهم .

ويجرى الاقتراع على أفراد أسرة الرئيس المتوفى على أساس الاسبقية فى السن والحاه .

وقد روعيت تلك العادة القبلية القديمة فى انتخاب أبى بكر خليفة النبى . إذ أن العجلة أوجبت الاسراع فى البيعة دون أى ابطاء . فأنتخب أبو بكر على جناح السرعة .

وقد كان أبو بكر يتمتع بتقدير العرب كافة . نظرا لكبر سنه وسمو مكانته بين أهل مكة ، كذلك كان رقيق القلب سديد الرأى قبايعه على وكبار آل البيت غيرة منهم على الدين وحبا فى توحيد كلمة المسلمين[١] .

على هذا الاساس ، وبالشكل العربى البحت جرى إنتخاب أول خليفة للرسول لزعامة المسلمين ، ورئاسة الدولة الاسلامية .

وبالرغم من البساطة التى سار عليها المسلمون فى هذا ، فان بعض الكاتبين يحاول أن يرجع هذا الانتخاب إلى نظريات وقواعد وإصطلاحات ، قد لا تعرفها الجماعة العربية الأولى

---

(١) سيد أمير على فى تاريخ العرب والتمدن الاسلامى

حقيقة كانت المسألة شورى بين المسلمين ، وإلى جانبها الانتخاب الحر من أفراد الجماعة .

بيد أن هذا بعينه نظام القبائل العربية فى شكل التعيين لرؤساء القبائل ، إذا أهملنا مسألة الاقتراع . لان التطور فى الأوضاع لايستسيغها مع الاسلام . والقرآن ، وتعليق الكفاية على التضحيات السابقة فى سبيل الله ورسوله .

وعلى كل حال فقد كان شكل التعيين .زمن الراشدين. ينحصر فى أربعة أنواع ،هى ماحدث في تعيين الخلفاء الاربعة.

١ ـ الطريقة الاولى ، طريقة الانتخاب الشورى ، وذلك ماحدث فى استخلاف أبى بكر رضى الله عنه ، وقد فصلناه فى موضعه من مؤتمر السقيفة.

٢ ـ الطريقة الثانية ، ولاية العهد مع استشارة المسلمين ورضاهم ، واسناد العهد الى الاصلح من الجماعة بغض النظر عن قرابته للخليفة وعدم قرابته .

وهذا هو الذى وقع فى إستخلاف عمر بن الخطاب اذ لما اشتد المرض على أبي بكر استدعى ذوى الرأى من

المسلمين وأستشارهم في تولية عمر من بعده ، فكلهم رضى به وزكاه عند الخليفة فعهد أبو بكر الى عمر وليست بينه وبينه الا اخوة الاسلام وصحبة الرسول ، وان كانت تجمع الاثنين لحمة النسب فى أن كلا منهما من قبيلة واحده، ولكن الاسرة مختلفة .

٣ ـ الطريقة الثالثة ، العهد بالخلافة الى واحد من جماعة محدودة بعينهم الخليفه ، ويعتبرون في نظر الجماعة خيرها وأفضلها وهذا الشكل نجده واضحا فى تعيين عثمان بن عفان إذ عمد عمر بن الخطاب الخليفة القائم بالامر حين أيقن الوفاة ، الى على وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن عمر وأوجب تعيين الخليفة من بعد فى واحد من هؤلاء يتفقون عليه عدا ابنه عبد الله . فنص عمر على أن رأيه يؤخذ على سبيل الاستشارة وليس له الحق فى الخلافة . وقد حدد عمر مدة يتحتم فيها البت فى أمر هذا التعيين ، كما أشار بقتل من يشق عصا الطاعة على الاغلبية اذا اتفقت على شخص بعينه .

وهذه الطرق الثلاثه السابقة ، كانت فى الواقع برضا المسلمين واختيارهم فى جملتها ، ولم يعرف حدوث ضغط على أحد ليرغم على رأى يخالفه حتى تنعقد كلمة الامة على خلافة . فعند ذلك يجب ارجاع الفرد الى رأى الجماعة بالقوة ، فان أبى يجب قتاله .

٤ ـ ولكن بعد أن ثارت أمصار الدولة الكبرى على عثمان ، وقتل وبقى المسلمون بدون أمير مدة ، جدت طريقة رابعة نتبينها فى الشكل الذى اختير به على بن أبى طالب .

وذلك إنه بعد مقتل عثمان تحكم الثوار فى المدينة عاصمة الدولة الاسلامية ، وأخذوا يعرضون أمارة المؤمنين على المرشحين للخلافة ، فكلهم رفضها رفضا باتا ، حتى على نفسه ردها . ثم بعد أن يئس الثوار وخشوا أن يقوم زعيم من بيت الخليفة المقتول . فيجمع المسلمين على حربهم واستئصال شوكتهم عمدوا الى تخريب العاصمة وبث الفتنة والفساد ان لم يقبل على أو غيره خلافة المسلمين .

وفى هذا الجو . وبهذا الشكل توجه الثوار اليه وبايعوه بالخلافة ورأى كبار المسلمين فى الدولة إن ذلك خير انقاذ للموقف . وان الامارة صادفت أهلها وخير المرشحين لها فبايع عليا طلحة والزبير وغيرهما ممن كانو يطمعون فى الخلافة . وامتنع كثير من سادة المسلمين من البيعة لا عن شك فى كفاية على . ولكن انتظارا لما يستقر عليه رأي الجماعه كلها بعد أن تهدا تلك الظروف الشاذة التى نجتازها الدولة بسبب قتل الخليفه .

على أن عليا نفسه كان يقدر جسامه العبء . ودقة الحالة فى الوقت الذى بويع فيه . ولا ينسى قولة السبئية بعد أول بيان أذاعه :

خذها اليك واحذرن أيا حسن

أنا عمر الامر إمرار الرسن

صولة أقوام كاشداد السفن

بمشرفيات كغدران اللبن

وتطعن الملك باين كالشطن

حتى يمرون على غير عنن

فقال على مجيبا لهم آسفا على قبوله .

إنى عجزت عجزة لااعتذار

سوف أكيس بعدها واستمر

أرفع من ذيلى ما كنت اجر

وأجمع الامر الشتيت المنتشر

ان لم يشاغبنى المجهول المنتصر

أو تتركونى والسلاح يبتدر

ولم يكن السبئية . وهم محركو الفتنة . كل مايشغل عليا . بل أن طلحة والزبير وعائشة ساهموا في إقلاق راحته ، الى جانب بنى أمية ومعاوية وظل على مدة خلافته فى نضال عنيف مع مختلف الاعداء المتباينى الاغراض والاهداف حتى استشهد في رمضان من سنة ٤٠ هـ ويتلخص الشكل الذي عين به فى تغلب الثوار على الدولة وإسناد أمارتها إلى واحد من خيرة رجالها يأمنون الغدر

من جانبه ولو ردحا من الزمن .

هذه الطرق الأربعة هى التى حدثت فى شكل التعيين للخليفة فى عصر الراشدين ، وفي جميعها توفرت الشورى ووجد الانتخاب وكانت البيعة ، وأسند الأمر الى ذى الكفاية .

أما ماقد يرى من بعض النقص فى حريه التعيين كما حدث في بيعة الاربعة على العموم ، فلم يكن مثير النقد ذى بال فى أيامهم لأن المهم أن يكون أمير القوم أصلحهم وهذا هو الذى كانو يرجونه .

ومن ثم كانت حكومة الراشدين أصلح سائر الحكومات الاسلامية فى دولة الاسلام بعد العصر النبوى الكريم .

ذلك أنه حدث بعد على أخر الراشدين أن تغلب معاوية على الحسن وتنازل هذا اليه وأصبح معاوية أمير المؤمنين ، بالغلبة والنفوذ ولما كبر وأحس بقرب الوفاة عهد بالامر من بعده لابنه يزيد واستعمل فى التوسل الى ذلك ضروبا

من القسوة والدهاء مالا يكاد يفكر فيه واحد من الاربعة الراشدين . وبذلك سن ولاية العهد فى أمارة المؤمنين لغير الاصلح ، والاقدر على تحمل الاعباء مع وجود الكفء القدير من غير بنيه أو أسرته .

وعلى الجملة فان الخلافة بعد الراشدين أصبحت ملكا وراثيا يرثه الابن عن الاب ، ولو كان الاخير طفلا لايقوى على النهوض بمصالحه الخاصة ، واستمرت سنة معاوية طوال عهود بنى أميه وبنى العباس وانتقلت الى المتغلبين فى مختلف أقاليم الخلافة فى المشرق والمغرب مما سنعرض له بالتفصيل فى الاقسام التالية من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

* * *

نظريات الفرق

رأينا فيما سبق تشعب الطرق فى اختيار خليفة المسلمين ، وأوضحنا السبب فى هذا ، وأرجعناه الى مجرد التقاليد العربية ، والمبادىء الاسلامية فى الشورى والتضحية .

بيد إننا حين نساير الزمن ، نرى الكتاب فى التاريخ بعد عصر الراشدين يسجلون ثلاث مذاهب فى الخلافة أبان خلافة الاربعه ، ويقولون انها عبارة عن أراء كان يراها الناس منذ خلافة أبى بكر حتى خلافة على ، وهاهى ذى

(١) الرأى الديمقراطى أو الجمهورى ، وهو أن تكون الخلافه فى أى شخص يقع عليه اختيار الناس من أى بيت أو بلد ولو كان عبدا حبشياً ، وذلك رأى الخوارج [١] ويقول المرحوم الخضرى انه أيضا رأى الانصار من قبل [٢] وقد أشرنا الى أن الانصار قوميون ملكيون لا جمهوريون أما الخوارج - ولم تكن لهم أراء فى الخلافة حتى أواخر عصر على - فانهم جمهوريون بالمعنى الكامل أى أنهم يسيرون على النص الحرفى للحديث « اسمعوا وأطيعوا وأن تأمر عليكم عبد حبشى كان رأسه زبيبة » فهم يقولون أن الواجب أن يختار المسلمون أيا كان ممن يرضونه لدينهم

---

(١) يلاحظ أن الخوارج وجدوا فى أواخر خلافة على (٢) المحاضرات ج ص ١٥٩ .

ودنياهم ولو كان عبدا حبشيا ، وانه من الضرر قصر الاختيار على طبقة معينة من المسلمين ، ولو كانت قريشا نفسها

أما الانصار فان رأيهم واضح ، وهو انهم أحق الناس بامارة المؤمنين ، وان الخلافة يجب أن تكون فى طبقتهم باعتبارهم أصحاب العاصمة الاسلامية من جهة ، وباعتبار الرسول ـ وهو الرئيس الاول للمسلمين ظل بينهم وأسس دولته فى موطنهم ، وصرح كثيرا لهم بانهم ورثته وأصحاب الامر بعده فطبقة الانصار لهذا هى محل انتخاب أمير المؤمنين ، ولاينبغى ان يفكر أحد فى طبقة أخرى إلى جانبها ـ وهذا يبدو واضحا فى خطاب الحباب الاخير [1] فالانصار على هذا ليسوا من القائلين برأى الخوارج حتى يعتبروا اسلافا لهؤلاء فى نظريتهم فى الخلافة

والرأى الثانى هو رأى التخصص بطبقة معينة ، وهى قبيلة قريش نظرا لماضيها فى زعامة العرب ، ورعاية الكعبة والبيت الحرام التى يعظمها جميع العرب وهذا الرأي كان

(١) انظر الطبرى فى تاريخ الامم

يقول به كبار المهاجرين مثل أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من المسلمين عدا عليا وبنى هاشم وقد انتصر هذا الرأى بانتخاب ابى بكر خليفة وظل منتصرا حتى سنة ١٣٢ هـ حيث قامت خلافة العباسيين ، وهم من أنصار الرأى الثالث الذى نوجزه بعد

٣ — والرأى الثالث هو رأى التخصص بطبقة خاصة من قريش وهى القرابة القريبة من الرسول من بنى هاشم وكان يراد بها فى عهد الراشدين على وابناؤه ، ولهذا سلك ابن السوداء وشيعته سبيل الدعاية لعلى وسيلة للطعن فى عهد عثمان ، ووضع كثيرا من الاحاديث أسندها الى رسول الله ظلما وعدوانا وهذا الرأى انتصر بعض الانتصار بولاية على وابنه الحسن وكان انتصارا تحوطه الآلام والاشواك من كل جانب حتى قضت عليه سياسة معاوية ، وارجعت الامر الى يوم السقيفة فاصبحت الخلافة فى قريش عامة ، وان فقدت في معاوية كفاية ابى بكر ، ونعوته المفضلة لدى (الرأى العام)

هذه هي الآراء الثلاثة التي سيحلها التاريخ اعتمادا على مابدا من تعيين الخلفاء الاربعة ، والجو الذي تولوا فيه

على ان من الحق ان نقرر ان النظريات الثلاثة التي اسلفناها ترجع في جوهرها الى نبع واحد ، وهو القول بوجوب تعيين الطبقة التي يكون منها خليفة المسلمين ، فالانصار يرون تعيينه من طبقتهم ، والقرشيون بوجه عام يرون وجوب نصب الخليفة من قبيلتهم

وآل البيت يرون أنفسهم أحق الناس بخلافة الرسول باعتبارهم ورثته وادنى المسلمين قرابة اليه ، والكفاية موفورة في بعضهم مثل علي والعباس

ومن الغريب أن ابابكر احتج على الانصار بحجة آل البيت ، وان الانصار لايصح ان يرثوا حقا مع وجود من هم أقرب منهم ، ولذلك نرى عليا يحتج على أبي بكر وشيعته بما احتج به ابو بكر على الانصار

سمع علي بما حدث من المهاجرين في السقيفة واحتجاجهم

بالقرابة من الرسول ، فقال على : احتجوا بالشجرة وتركوا الثمرة فى حوار طويل سجله ابن ابى الحديد (١)

أما بعد . فهذه خلاصة لآراء الفرق فى ذلك العصر وكلها تدور حول الناحية السياسية وحدها

أما ما ظهر بعد ذلك من فرق منظمة لها نظريات فى الدين والسياسة والاخلاق والاجتماع ، فانها خارجة عن موضوع بحثنا

ولكن نرى أن نشير - فى ايجاز - إلى مذاهب يظن انها من صنع ذلك العصر وليست من عمله

وأول هذه الفرق أهل السنة والجماعة ، ومذهبهم فى الخلافة لا يخرج عما ابرم فى السقيفة من جعل الخلافة فى عموم بطون قريش

ومن هذه الفرق المتأخرة أيضا الشيعة وقد بنت مذهبها على الارث والوصية ، ومن ثم قالت ان عليا هو الخليفة الحق بعد الرسول وان غلب على أمره ، ثم اقترفت

---

(١) انظر شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد

الى شعب كثيرة اختلفت فى نظرياتها ومبادئها ، ولكنها جميعا تدعو لآل البيت الاقربين

كذلك نرى فرقة أخرى جدت فى العصر الأموى هى المعتزلة ، وهؤلاء لم تخل مبادئهم من التعرض للسياسة العليا وخلافة المسلمين ، وافترق المعتزلة كالشيعة إلى فرق وأحزاب كثيرة يقول الخضرى بك .

تناول العلماء فى الدولة العباسية مسألة الخلافة وادخلوها ضمن مباحث العقائد الدينية ، ويخيل الينا ان أنزل من وضعها هذا الموضع كان يرى رأى الشيعة ، فان الخلافة عندهم من أمور الدين ثم جر اليه المتكلمين وصار أمرها موضوعا جدليا كغيره من المسائل الدينية وكان النزاع يدور بينهم على ستة أمور

١ ـ وجوب نصب الامام . أهو واجب على الامة من طريق السمع كما هو رأى الجمهور ، أو من طريق العقل كما هو رأى المعتزلة والزيدية ، أو من طريقهما معا كما هو رأى بعض المعتزلة . أو على الله لحفظ قوانين الشرع . كما هو رأى

الامامية ، أو على الله ليكون معرفا لله وصفاته كما هو رأى الاسماعيلية أولايجب كما هو رأى الخوارج ، أويجب عند الأمن دون الفتنة كماهو رأى هشام الفوطى واتباعه ، أويجب عند الفتنة دون الامن كما هو رأى الاصم ومن شايعه من المعتزلة .

٢ ـ شروط الامامة . وقد عدوا منها شروطا لاخلاف فيها ، ومنها شروط فيها الخلاف ، كالقرشية عند الجمهور والهاشمية عند الشيعه والعلم بجمع مسائل الدين وظهور معجزة على يده عند بعض الشيعه

٣ ـ ماتثبت به الامامة . وهو النص من رسول الله أو عن الامام الموجود وبيعه أهل الحل والعقد ، خلافا للشيعه ثم قالوا لايحتاج الأمر الى اجماع أهل الحل والعقد ، بل يكفى الواحد والاثنان وقال بعضهم لابد أن يكون ذلك أمام بينه عادلة ، وهل يجوز تعدد الأئمة أولايجوز ، وهل يجوز خلع الامام . ولأى شىء يكون ذلك .

٤ ـ من هو الامام الحق بعد رسول الله أهو ابو بكر أم علي

٥ ـ من هو افضل الناس بعد رسول الله

٦ ـ ماحكم امامه المفضول مع وجود الفاضل

وكانت هذه المناقشات مع حدتها وغوصها على معان جميلة شريفة في بعض الاحيان عديمة الجدوى من الوجهة العملية . لان هؤلاء يتجادلون بأسنة الاقلام في مدارسهم وعلى صفحات كتبهم واولئك يحكمون صفحات الحسام ، ولايلقون بالا لتلك المناقشات كان شأنها لايهمهم (١)

وفي القرن الرابع عشر الهجري حدثت فرقة اوروبية مسيحية ، وهي فرقة الحكومة الثلاثية ، وخلاصة رأيها ان أوّل حكومة اسلامية بعد وفاة الرسول تأسست على مؤامرة ، قام بدور البطولة فيها عائشه زوج الرسول ، وابو بكر والدها وعمر وابوعبيدة صديقا ابي بكر ، وقد نجحت تلك المؤامرة إذ تولى أبو بكر وعمر وابوعبيدة

---

١ ـ انظر المحاضرات ص ١٩٧

زعامة الدولة الاسلاميـة وقد كان ابو بكر هو الذى يحمل لقب الخليفه ، وعمر يصرف شئون القضاء ، وابو عبيـدة قيادة الجيش ، فلما توفى ابو بكر تولى الخلافة عمر ، ولو أمد الله فى أجل ابى عبيدة لاصبح الخليفة بعد عمر (٢)

ومع ان رأى هذه الفرقة يحمل فى طيـاته ، مايقطع باختلاقه ، إذ لاسند لهذه القولة من التاريخ ولا من الواقع فوق انها صدرت عن تعصب للعـاطفة والجنس ، مما يجعل رأيها ادبى الى القدح والطعن منه والى الحق والتاريخ فاننا سنوجز خلاصة المستندات التى استند اليهـا هؤلاء ، ثم نعقب بالرد عليها

وتتلخص أهم الاشياء التى ايد بها المستشرقون نظرية التآمر فيما يأتى :

شبه المستشرقين

أولا ـ ماحدث من مراجعة عائشـه لرسول الله فى مرض موته حينما طلب ان يصلى ابو بكر اماما بالناس بدله

٢ ـ انظر الحكومة الثلاثية للاب لامانس والخلافة لتوماس ارنولد ومقال الاستاذ عبد الحميد العبادى مجلة الثقافة

فيقولون ان الرسول ماطلب ابا بكر إلا بايماز من زوجه عائشة ابنة ابي بكر . وذلك من عائشة يعتبر تمهيدا ليكون أبوها خليفة على المسلمين لرسول الله بعد وفاته

ثانيا — رفض ابي بكر ان يسلم فاطمة ميراثها من أبيها مخافة ان يتطرق الأمر إلى فتح باب ميراث الخلافة حق آل البيت المقرر

ثالثا — مجانبة ابي بكر لأوامر الرسول التي منها لكل نبي وصي وعلي وصي محمد

رابعا — مغاضبة ابي بكر لآل بيت الرسول وهجرانهم مع ان صلتهم وحبهم مفروض على جميع اتباع محمد

خامسا — تولية ابي عبيدة القيادة العامة للجيوش الاسلامية في خلافة عمر بعد تولية عمر خلافة المسلمين ، وتنحيه الى البيت عن مقاليد الحكم في الدولة الاسلامية

هذا إلى جانب ان هؤلاء الثلاثة قد ذهبوا إلى السقيفة ولم يخطروا احدا من آل البيت ليبرموا أمر الخلافة سرا في غيبة آل البيت المشغولين بوفاة الرسول حتى استطاعوا

ان يظفروا ببيعة المسلمين فلما تمت البيعة لم يجد على مجالا للاحتجاج بل غلب على امره وسكت على مضض

على ان مظاهر القسوة والاستبداد التى ابداها زعماء الحكومة الثلاثية مع آل البيت تؤيد بوضوح وجود تلك المؤامرة واسفارها عن طوية الحكم الثلاثى الذى استبد به ابو بكر وصاحباه على آل البيت أصحاب الحق وحدهم في خلافة بيتهم

تلك خلاصة لأهم الشبه التى اخذ منها القائلون بالحكومة الثلاثية نظريتهم

أما ردنا على مزاعم هؤلاء ، فاننا نجمله فيما يلى :

١ — مسأله رأى النبي فى اسناد امامة المسلمين فى الصلاة الى ابى بكر لم تكن ناشئة عن تدبير عائشة ، بل هى مسألة شخصية للنبي الذى لاتنطق عن الهوى وانما يصدر فى جميع تصرفاته عن السماء ووحى الله

على انه ثابت - فى التاريخ الصحيح - ان عائشة لم تكن مخادعة فى مراجعتها للرسول ، وانما كانت جادة كل الجد ،

وصريحة إلى أقصى حدود الصراحة ، كما هو معروف من خلقها .

كذلك ثابت من القصة التى سجلها المؤرخون الثقات ان عائشة كانت تبغى صرف الامر عن أبيها لا اسناد الأمر اليه

وهذا يحتاج بطبيعة الحال إلى دراسة دقيقة للعصر الذي عاشت فيه عائشة وأبوها . وهؤلاء التآمريون جهلة بتاريخ العصر النبوى ، وروحه وخلق رجاله . ومن ثم كانت فريتهم على خير قوم انجبهم تاريخ البشرية

على ان الذين قرأوا شيئا من تاريخ سلف المسلمين يدركون مدى ما كانوا عليه من خلق ودين شهد به الد الاعداء قبل اخلص الاصدقاء

ولكن ماذا نفعل بقوم يقدسون الصور ويعبدون التماثيل ولا يورعون عن طعن رجال نشروا المدنية وأسعدوا الكون . ولا ذنب لهم إلا أن يقولوا ربنا الله لا المسيح ولا العذراء اللهم هذا بهتان عظيم

٢ — وأما عن منع ابى بكر فاطمة من ميراثها ، مما رتب عليه هؤلاء رمى الصديق بالتآمر ، فلم يكن ابو بكر يبغى من وراء ذلك سد الذريعه حول مسألة الخلافة - على فرض صحة هذه الرواية فان أبا بكر لم يمنع الميراث من تلقاء نفسه ، ولكن لان الرسول نص على هذا المنع بدليل الحديث الذى رواه لهم كما فى الرواية التى اوردها القائلون به

على ان هذه الرواية ليست من الصحة بحيث يترتب عليها ذلك الجدل الكثير الذي اثير حولها

فان الظاهر من اسلوبها انها من وضع الشيعة الغلاة وليست من الاخبار التى يمكن الاعتماد عليها فى اثبات حقيقة تاريخه

٣ — مايزعمه هؤلاء من ان أبا بكر جانب النصوص الاسلامية مثل حديث الوصية الذى يذكرونه ، جهل بالتاريخ فان علماء الاسلام ابانوا فى صراحة وحزم وضع هذا الحديث ، وكشفوا عن واضعه وهو عبد الله بن سبأ اليهودى . ولايعرف التاريخ الصحيح ان أحدا من سلف

المسلمين كان يسمع بهذا الحديث حتى كانت فتنة عثمان ونشأت المبادى السبئية وذاعت مطاعنهم فى عثمان وامرائه ، والدعاية لآل البيت كستار لهدفهم الوحيد وهو القضاء على الدولة الاسلامية .

٤ — أما عهد أبى بكر بالخلافة إلى عمر ، وتعيين عمر أبا عبيدة قائداً عاماً للجيش ، فقد كان برضا آل البيت والمسلمين عامة ، ولم يثبت أن عليا ولا غيره أظهر استياءه من هذا الصنيع . بل على العكس كان سرور المسلمين ومنهم آل البيت . لا يقدر حينما علموا بما صنعه أبو بكر ، ورأوا في ذلك عين الصواب والسداد .

على أن هذا لا يعطى تآمر أبى بكر وصاحبيه كما يزعم المستشرقون بل يفيد أن الرجلين تأمرا بكفايتهما وفضلهما وسلوك هؤلاء معروف لدى جميع المسلمين ، حتى الشيعة والخوارج يترضون عن أبى بكر وعمر ، إلا نفرا من السبئية اليهود ، وبعض الرافضة من الشيعة فمن أين استقى الثلاثيون هذه المعلومات ، وكيف ساغ لهم أن يفتروا على الحق

والتاريخ بدعوى التجديد في التاريخ إلا أن هؤلاء المستشرقين ومن لف لفهم من الشرقيين والغربيين قوم متحاملون يعمدون إلى كتب الرافضة والغلاة ويستقون منها معلوماتهم ثم يسلطون عليها تعصبهم وجهلهم بالعربية والتاريخ، ويخرجون للناس نظريات هي مزيج من الجهل والرفض والتعصب، ويصوغونها بأساليبهم ولغاتهم زاعمين أنها الحق الذي لامرية فيه، ويقولون لقومهم أنهم قد أخذوا هذه الحقائق من كتب المسلمين، وإن استشراقهم يحسن الظن بهم .. وسبحان الله، فلولا أن أمثال العبادي [1] عرب هذه الفرى للرد عليها، ما عيننا بتسويد حرف واحد في تفنيدها.

* * *

نظام الخلافة الاسلامية، يعتبر من غير شك نظاما سياسيا بالمعنى الكامل لهذه الكلمة، ولذلك فاننا سنحاول أن تتعرف نوع هذا الضرب من الحكم، حتى نستطيع أن

---

(١) الاستاذ عبد الحميد العبادي أستاذ للتاريخ الاسلامي بالجامعات المصرية وهو رجل حجة في التاريخ، ومعروف في يوم والفضل حتى الآن

نقدر سلف المسلمين ، وهل كانوا مبتكرين حقا حتى فى السياسة ، أم أنهم كانوا عالة على الأمم التى سبقتهم ثم ماهو السبب فى عزوف المسلمين عن اتخاذ نظمهم السياسية عن الدول العظمى في أيامهم .

سبق المسلمين الأول، شعوب لها حضارات وتقاليد، وقد اتخذت تلك الشعوب لنفسها نوعا من الحكم يلائمها . فالفرس مثلا كان نظامهم الحكومى : ملكيا وراثيا إستبداديا مطلقا : وكذلك الحال عند الرومان فى الشرق والغرب . والملك عند هؤلاء سيد الشعب وراعيه ، وكلمته قانون ، والمخالفة له حتى فى طاعة الله تعتبر جريمة توجب أزهاق الروح ، والدين منفصل عن السياسة فللمجوس بيوت نيرانهم ، وطقوسهم ، ولا دخل لهم فى سياسة الشعب إلا أن يحثوه بالدين على العبودية لمولاهم الحاكم بأمره ، وذلك عند الفرس أما عند الرومان فيتمثل رأيهم فى تلك الكلمة « دعوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله » فالمسيحية فى الكنائس وأما السياسة فهى من شأن الحكومة المشرفة على الشعب

ولا يمكن أن يتدخل الدين المسيحى فى سياسة الحكومة ، بل ذلك متروك للقوانين التى هى فقط من وضع الحكومة ورسم الامبراطور ومن ثم كان جهل رجال الدين ، بالشئون السياسة ، والقوانين الوضعية وكل ما يمت إلى الحكومة بصلة ، حتى لقد ذاع بينهم أن قبول الوظائف من رجال السياسة يعتبر جريمة لا تغتفر . لأن رجل الدين من أول ميزاته العمل على تخريب الدنيا ، وتعجيل فنائها ، ومن شأن الحكومات أن تصلح وتعمر ، مما يطيل بقاء الحياة ، ويمد فى أجل الوجود الدينوي .

ومن هنا نرى ظاهرة غريبة في العصور الوسطى وتلك هى كثرة الأديرة وانتشارها فى العالم المسيحي ، فرارا من الدنيا ، وانتظارا لخرابها فتقوم الساعة وهم منقطعون لعبادة الله ، وذاع مما ذاع بين المسيحيين أن الدنيا سوف لاتبلغ أكثر من ألف عام ويضم مئات لاتصل إلى الألف الثانية ، وإن خراب العالم أصبح قاب قوسين منهم [1] .

---

(١) أنظر العصور الوسطى للدكتور مصطفى زيادة (مذكرة كلية أصول الدين ـ تخصص المادة) .

نقول أن فصل الدين عن السياسة ، ترتب عليه تسرب اليأس إلى نفوس المتدينين لبعدهم عن الحياة العامة وانعزالهم فى سجون الكنائس والأديرة والبيع . . وهذا ما كان عليه حال الشعوب المعاصرة للمسلمين شرقا وغربا على أن الحكم الوراثى الاستبدادى ، كان من أهم العوامل في اضمحلال دولتى الفرس والروم ، مما عجل بالقضاء على هذا النظام الذى لايصلح إلا للسوائم فى عصور العبودية والجهل

كان إلى جانب ذلك قوم فى أوروبا الشرقية الجنوبية ، فرغوا أنفسهم للبحث والدراسة ، وكونوا لهم نظريات فى العلم والسياسة ، وأولئكم هم اليونان فقد بحثوا فى الملكية والدكتاتورية ، والجمهورية ، والديمقراطية ، وأسسوا في بلادهم نظاما من الحكم قائما على أساس نظرياتهم ، وكان جملة ذلك يرجع إلى ضربين منه يقومان فى أثينا وتغلب عليه الصبغة الديمقراطية وفى أسبرطه ، وتبدو فيه قسوة الدكتاتورية .

وعلى الجملة ، فان نظام الخلافة الاسلامية سبقته

وعاصرته أنظمة حكومية مختلفة ،وكان فى استطاعة المسلمين أن يقتبسوا نوعا من تلك النظم لو أرادوا ولكن لم يفعلوا بل أنهم عمدوا إلى ذلك النظام الحكومى (الخلافة) واختاروه لهم دون سواه .

على أننا ـ نرى إلى جوار نظم الحكم فى الفرس والرومان واليونان ـ نظام القبائل العربيـة ، وكان يقع اختيار القبيلة على أكبرها سنا ، وأعظمها جاها وأكثرها مالا وعصبية فى بطونها ، فيستدون إليه رئاسة القبيلة والأساس فى هـذا الانتخاب من جميع أفراد القبيلة .

وعلى هذا فماذا يمكن أن يكون نظام الخلافة الاسلامية هل هو ملكى مطلق أومقيد . أوهوجمهورى ، أودكتاتورى أو ليس واحدا من هذه الأنواع ، بل هو نظام قبلى عربى أم هو نوع متفرد عن سائر الأنظمة السابقة ابتكره المسلمون وفقا لتعاليم الاسلام ومبادئه العامه . مستعينين في ذلك بنظام القبائل العربيه التى نشأ الاسلام فى أحضانها .

إن المتتبع لتاريخ الاسلام . وانتخاب الخليفه الأولى

والبيانات التى أذيعت من السقيفة ، والطريقة التى سار عليها الخلفاء الاربعة فى تعيينهم لايكاد يشك فى أن الخلافة كنظام سياسى هى مزيج من تقاليد العروبة وتعاليم الاسلام .

وعلى ذلك فالخلافة الاسلامية ليست نظاما ملكيا ولا جمهوريا . بل هى الخلافة الاسلامية .. وكفى

نظام الشورى

كانت مقاليد الحكم فى عصر الخلفاء ، فى يد الخليفة ، ويساعده في تصريف مهام الدولة مجلس من الشيوخ يتألف عادة من الصحابة الاولين وكانوا يعقدون اجتماعاتهم فى الجامع الكبير ، يساعدهم غالبا جمع من الاشراف ورؤساء البدو الذين كان يتفق وجودهم فى المدينة كذلك كان الخليفة يسند إلى كثير من الصحابه أعمالا خاصة . فولى عمر القضاء وتوزيع الصدقات . واسند إلى على تحرير الرسائل والاشراف على الاسرى . وولى بعض الصحابه أمر النفقة على الجنود .

وعلى الجملة كانت تبذل أقصى العناية فى جميع شئون

الدولة ، ولا يفصل فى شىء الا بعد أخذ رأى مجلس الشورى (١)

فنظام البرلمانات الحديثة . ليس بدعا فى تعرف إرادة الشعب بل أن العرب فى جاهليتهم عملوا به ثم جاء المسلمون فنقحوه وأضافوا اليه بعض التعديلات التى استلزمتها مدينة الحياة وناموس التطور ، وظل المسلمون فى أرقى عصورهم يعملون بنظام الشورى ، حتى طرأ عليهم ماطرأ على كثير من الامم من الضعف والانحلال . فعند ذلك فقط هجروا الشورى ، واستساغوا الاستبداد وبذلك عادت الحياة جاهلية ظالمه ، حتى نقل أهل أوربا تعاليم الاسلام وتدارسوها وعرفوا أثرها فى قوة المسلمين ، فعملوا بها ونفذوها فى أقطارهم لكن على أنها من وضعهم ونجاربهم . والحقيقه السافرة تنادى بأنها من وضع اسلاف المسلمين وعملهم .

* * *

لما فتحت مكة ، وخضعت جزيرة العرب للمسلمين ،

---

(١) سيد أمير على فى تاريخ العرب (بالانجليزية)

اختار الرسول أمراء على الامصار الكبرى ، وضع فى أيديهم السلطات المدنية والعسكرية وفوض اليهم الفصل في الخصومات فى الاقاليم التى ولوا عليها

على أن المؤرخين يعتبرون « عمر » المؤسس الحقيقى للادارة السياسية في الاسلام . إذ قسم البلاد الى أمارات وولايات لكى يتفرغ أمراؤها وولاتها الى ترقية مصادرها فاعتبرت الاهواز والبحرين أمارة واحدة . وسجستان ومكران وكرمان ولاية وأصبحت طبرستان وخراسان ولايتين مستقلتين . وولى ثلاث أمراء على جنوبى فارس كما جعل فى العراق أميرين أحدهما فى البصرة ، والاخر بالكوفة .

وفى الشام جعل القسم الشمالى منه ولاية وعاصمته (حمص) والقسم الجنوبى ولاية (دمشق) وجعلت فلسطين ولاية مستقله .

وفي أفريقية ثلاث أمارات ، واحدة فى مصر العليا ، والاخرى في مصر السفلى ، وثالثة فى لبيبا .

وأما جزيرة العرب ، فقد قسمت إلى خمس ولايات ولاية مكة وولاية الطائف ، ومنطقة صنعاء ، وولاية البحرين وما والاها وولاية الجند . أما المدينة فكان بها كرسى الخلافة والحكومة المركزية فهى العاصمة الكبرى للخلافة الاسلامية .

وكان يطلق اسم الوالى والنائب على حكام الولايات الصغرى . أما الكبرى فكان يطلق على ولاتها اسم الامير وكان الحاكم فى معظم الولايات بحكم منصبه يصلى بالمسلمين ، ويلقى خطبة الجمعة التى كانت تعتبر فى الغالب بيانا سياسيا وعين عمر لفلسطين ودمشق وحمص وقنسرين قضاة للامامة في الصلاة ، والنظر في الاحكام . وانشأ ادارة مالية باسم الديوان لتنظيم جمع الايرادات وصرفها . وكان القسم الاعظم منها يستنفد فى سد النفقات الادارية والحربية ثم يوزع الباقى على أفراد المسلمين . ولهذا أمسكت سجلات خاصة فى الديوان لتسجيل أسماء جميع المستحقين . وكان الامير هو الرئيس الاعلى فى ولايته - واليه يرجع الفضل

فى الامور العسكرية والمدنية أما الامور المالية والادارية فكان يدير شئونها موظفون قديرون يعينون خصيصا لهذه الغاية . كذلك كانت الحكومه توجه أقصى جهودها لترقية حالة الفلاح ، وتحسين الصناعه . فمسيحت الارض حقلا حقلا ، ووضعت الجباية فى مصر والشام والجزيرة وفارس ، على أسس ثابتة منتظمة .

وكان عمر أول من عين راتب القضاة المعينين من قبل الخلافة ، وفصل دوائرهم عن الدوائر التنفيذيه ، وأطلق عليهم اسم حكام الشرع وهكذا كانت الادارة الاسلامية منذ أوائل عهدها تعترف قولا وعملا بنظرية الفصل بين القضاء والسلطه التنفيذيه وكان القضاة مستقلين فى أحكامهم والكل فى تظهرهم سواء وكان الخلفاء يتحينون الفرص ليتظهروا للشعب انهم من أول يخضع لحكم القضاء

ومن الامور التى كانت منذ عهد عمر وجود جند للحراسة ، وأما الشرطة فلم توجد بهذا المعنى الا منذ عصر على بن أبى طالب .

كذلك الجباية كانت تسير على نظام محكم ، فقسمت الى ثلاثة أنواع .

(١) الاعشار أو الزكاة ، وتؤخذ من أغنياء المسلمين ، وتفرق فى الجيش والموظفين المستخدمين فى جمعها وللفقراء من المسلمين متبعين فى ذلك نص الكتاب « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل »

(٢) ضريبة الارض التى تفرض على الذميين ، وكانت تسمى الخراج .

(٣) ضريبة الاعناق أو الجزية ، وكانت معروفة عند الروم بنفس الاسم ، وموجودة عند الفرس في حكم الساسانيين بيد أن المسلمين ادخلوا عليها تعديلات ، وهذبوا من قسوتها وحوروها ، ففرضها الاسلام بالعدل ، وأعفى بعض الذميين من دفعها مثل الفقراء الذميين الذين لايشق عليهم اداؤها . ولذلك عومل أهل الكتاب من اليهود والنصارى بكل عدل وانصاف لم يحلموا به فى حكومات كسرى ولاقيصر .

الجيش

كان الجيش العربي مكونا عادة من جنود البدو المرتزقة ، ومن متطوعي المدينة والطائف وبعض المدن الاخرى . وكانت مرتباتهم تدفع من الاعشار ، ثم أصبحت تدفع من الاعشار والجزية .

وكان الخليفة يعين القائد العام الذي كان يختار الضباط بنفسه ، ويؤم المصلين فى الصلاة .

وكان الجيش يتألف من المشاة والفرسان ، وكان الفرسان يتسلحون بالدروع والسهام والنشاب ، كما كان رماة السهام يؤلفون العنصر الغالب فى فرق المشاة الذين كانوا يتألفون من ثلاثة صفوف يتقدمهم عادة حاملو الرماح لصد هجمات فرسان العدو ثم يليهم حاملو السهام . أما الفرسان فكانوا يقفون على الميمنة والميسرة .

أما معسكرات الجيش فكانت فى أول الامر عبارة عن اخصاص مصنوعة من جريد النخل ، ثم شيدت محاط عسكرية دائمة فى انحاء الدولة . كذلك أقيمت حاميات قوية فى المدن التى ليس بها نقط عسكرية ثابته .

وكان أفراد الجيش يلبسون الدروع المصنوعة من السلاسل ويضعون على رؤوسهم الخوذ الفولاذية التى كانت تزين غالبا بريش النسور . وكانوا جميعا يسيرون الى ميادين القتال وهم يتلون كتاب الله ، ويكثرون ذكره عند الهجوم وكانوا يستعملون الطبول . ويحملون معهم نساءهم وأولادهم فى كثير من الاحيان ، وخصوصا بعد انشاء مساكن خاصة فى المحاط العسكرية .

وعلى الجملة . فان النظم التى سار عليها الخلفاء الاربعة من أحسن ماعرف فى عهدهم . كما أن عمر كان المؤسس الحقيقى لتلك النظم . بل أن سياسته فى الدولة أثرت فى أخلاق الشعب الاسلامى . حتى بعد وفاته .

كان عمر شديد الغيرة على العرب والعروبة . فعمل على اجلاء جميع العناصر غير العربية عن بلاد العرب . ووجه المسلمين الى عدم التطرف فى الفتح والتوسع ؛ كما خطر على العرب الاشتغال بالامور الزراعية خشية أن يركنوا لى الارض ويسكنوا اليها .

ولقد كانت سياسة عمر نحو الموالى : سببا فى أثارة كثير منهم حتى أنه قضى نحبه بيد مولى من هؤلاء . فى الوقت الذى كان شديد الحدب عليهم ؛ وان كان يحب طردهم من شبه الجزيرة .

ولكن دسائس الموالى التى حذر منها عمر . أصابت عمر نفسه فكانت فيها حياته .

بيعة السقيفة واستخلاف أبى بكر

وفاة رسول الله . مؤتمر الأنصار ـ بيعة أبى بكر ـ تقدير أبى بكر .

وفاة الرسول

فى يوم الاثنين الثالث عشر من شهر ربيع الأول سنة ١١ ﻫ (٨ يونيو سنة ٦٣٢ م) إختار نبى الله جوار ربه وصعدت روحه الطاهرة إلى الرفيق الأعلى ، وقد كان الرسول فى حياته يضطلع بالقيام بأمرين خطيرين .

أحدهما لا يستطيع القيام به غيره وهو تلقى الوحى عن الله وتبليغه إلى الناس ، والثانى القيام بأعباء الشئون الدنيوية المتعلقة بالنفوذ السياسى والادارى والعسكري وكل مايختص بالتنظيم العام لشتى شئون الدول والأفراد فى حياتهم العامة والخاصة فلما نعى الناعى رسول الله ، جزعت نفوس المسلمين واهتزت قلوبهم لهذا الحادث الجلل ، فلم يقو على الصبر على ألم ذلك الخطب الجسيم إلا رجل واحد هو أبو بكر الصديق

رضى الله عنه ، أما باقى المسلمين فقد جزعت نفوسهم ، فهذا عمر بن الخطاب يقوم خطيبا فى الناس ويقول : إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفى ـ وإن رسول الله والله ما مات ـ ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب أربعين ليلة عن قومه ثم رجع بعد أن قيل قد مات . والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله مات :

وهؤلاء سادة الأنصار وعلى رأسهم سعد بن عبادة والحباب بن المنذر يدعون إلى مؤتمر عام للأوس والخزرج فى سقيفة بنى ساعدة ليحددوا موقفهم من المهاجرين الذين يطمعون فى رياسة المؤمنين بعد رسول الله . وهذا فيما نظن لم ينشأ إلا بسبب جسامة الصدمة بوفاة رسول الله أحب الناس إلى قلوبهم جميعاً .

أما أبو بكر فانه حين وفاة الرسول كان بالسنح من ضواحى المدينة فلما بلغته الوفاة أسرع إلى المدينة حتى نزل على باب المسجد ، فوجد عمر يخطب الناس بما أسلفنا ، فلم

يلتفت إليه ، ودخل على رسول الله فى بيت عائشة . ورسول الله مسجى فى ناحية البيت عليه برد حبره . فأقبل حتى كشف عن وجهه . ثم أقبل عليه فقبله ، ثم قال : بأبى أنت وأمى . أما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها ثم لن يصيبك بعدها موتة أبدا . ثم رد الثوب على وجهه ثم خرج . وعمر يكلم الناس ، فقال له أبو بكر على رسلك يا عمر ، أنصت . فأبى عمر وواصل كلامه ، فتركه أبو بكر واتجه إلى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس . من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات . ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت . ثم تلا قول الله تعالى : وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين [1] .

بهذا أعلن أبو بكر وفاة رسول الله ، وآمن الناس بالله

---

(١) الطبرى حـ ٣ ص ٢٠٥ ونص الحديث بسند الطبرى . ما قبض نبى الا يدفن حيث قبض ،

ثم بوفاة رسوله الكريم وأخذوا يعيدون قراءة الآية الكريمة التى تلاها أبو بكر، وثاب عمر إلى رشده وعرف أن الرسول حقيقة قد مات وكان يوما على المؤمنين من أشد الأيام بل أشدها وأفظعها فى حياتهم كلها :

وقبل أن ننتقل بكم إلى حديث السقيفة يحسن أن أن نشير إلى مواقف لأبى بكر تتعلق بوفاة الرسول. وتشهد لهذا الرجل بالعلم والرسوخ وفى مقدمتها حفظه عن الرسول معنى قوله : مامات نبى إلا دفن حيث مات .. وقد رواه أبو بكر للناس حينما اشتد خلافهم فى الموضع الذى يدفن فيه الرسول حتى كادت تكون فتنة كذلك موقفه فى الردة وبعث أسامة مما سنفصله فى موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

مؤتمر الأنصار

أما عن مؤتمر الأنصار وحديث السقيفة بعبارة أسلافنا من مؤرخى العرب ، فان حديثنا عنه ينحصر فى نقطتين .

١ — أولا وصف هـذا المؤتمر والأسباب الدافعة إلى انعقاده .

٢ — ثانيا النتائج النظرية والعملية التى نجمت عنه لخطورة هذه النتائج فى الدولة الاسلامية فيما بعد بيد أننا قبل الكلام عن النقطتين السابقتين نرى أن نوجز جملة عن السقيفة التى كانت مكانا لهذا الاجتماع .

سقيفة بنى ساعدة

كانت تلك السقيفة مجاورة لسوق المدينة ، وهى عبارة عن ظلة كبيرة مبسطة الجوانب ، وتقع فى أرض بنى ساعدة ابن كعب من الخزرج وكانت من الأمكنة التى اعتاد أهل المدينة الاجتماع إليها والتشاور فى شئونهم . الخاصة والعامة فكأنما هى ناد يشبه دار الندوة لدى قريش فى مكة ولقد كان لهذه السقيفة فى توجيه الملك الاسلامى أثر بعيد الغور لا يقل عن أثر ثور أو حراء فى توجيه الرسالة المحمدية مع فارق واضح وهو أن ثورا وحراء يتصل أمرهما بأقدس رسالة أنزلها الله على أشرف انسان خلقه الله . والسقيفة

أمرها متصل بسياسة الدنيا وحماية الدين ، ولكل خطره ولكل آثاره .

وإن مما تنبغى الاشارة إليه لفتة الأنصار القومية حينما أعلنوا عن مكان اجتماعهم فى صميم أرض منسوبة إلى بعض بطونهم ولم يشاءوا عقد مؤتمرهم فى مسجد الرسول مثلا أو غيره من الأماكن العامة وليس مما يستساغ فى المنطق أن يقال إنهم أرادوا بهذا أن يبعدوا عن اجتماعهم غير المرغوب فيهم ، فان حتى هذا القول يحمل فى ثناياه نفس الجواب عليه ، وهو أنهم كانوا يريدون إعلان القومية المدينة ويعينون رئيساً على المجتمعين فى السقيفة من أصحاب السقيفة دون المهاجرين من غير أهل المدينة . . . وذلك إلى جانب أنه لا يعقل أن يكون بحثهم فى أخطر مسألة تهم الأمة كلها مما لا يذاع إلا بعد إبرامه ، إذ على فرض هذا فانه لن يكون ملزما للأمة . ولا مقبولا لدى الجماعة ولكن مقبول أن يكون اختيار الأنصار لهذا المكان لاعلان أنهم أصحاب البلد وأصراؤه .

١ — وصف عام للمؤتمر

فى ساعة رهيبة من ساعات اليأس القاتل . ساعة نعى الرسول الكريم ظن الأنصار أن الأرض تموج من تحتهم وإن الزمن الذى اختطف أحب الخلق إليهم من بين أظهرهم وقدكان بلسم شفاء لنفوسهم، وراحة رحمة لقلوبهم ،وإكسير حياة لأرواحهم ، لا يمكن فيه الثقة بصديق مهما بلغ من الوفاء . فى هذه الساعة الرهيبة نفر الأنصار إلى طبيعة عربية قديمة فدعوا الى اجتماع السقيفة ، وثابوا الى هذا المكان وجسد الرسول مسجى فى حجرة عائشة والمهاجرون وبنو هاشم مشغولون بتجهيزه وأداء مراسم الجنازة ولقد أوشك الانصار أن يختاروا سعد بن عبادة أميرا على المؤمنين أو على الاقل على الانصار من المسلمين ، لولا أن المنافسة التى كانت بين الاوس والخزرج دفعت بعضهم [1] لان يتسللوا الى المهاجرين لاخطارهم بما يصنع الانصار فى سقيفة بنى ساعدة

---

(١) هذا البعض هما عويم بن ساعدة الانصار وعاصم بن عدى الانصارى (الطبرى ج٣ ص ٢٠٨) .

فكان أن قابل بعض الانصار أبا بكر وعمر وأخبرهما خبر الانصار فى السقيفة . فأسرع الرجلان الى حيث الانصار والتقى بهما فى الطريق أبو عبيدة بن الجراح ، وفاجأ الثلاثة الانصار فى السقيفة فوجدوهم قد أصغوا لخطاب سعد ابن عبادة الذى كان مريضا جالسا يبلغ عنه ابنه ما يقول ، وكان من قوله : يامعشر الانصار لكم سابقة فى الدين وفضيلة فى الاسلام ليست لقبيلة من العرب . ان محمدا عليه السلام لبث بضع عشرة سنة فى قومه يدعوهم الى عبادة الرحمن وخلع الانداد والاوثان فما آمن به من قومه الا رجال قليل وكان ما يقدرون على أن يمنعوا رسول الله ولا أن يعزوا دينه ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيما عموا به حتى اذا أراد بكم الفضيلة ساق اليكم الكرامة وخصكم بالنعمة فرزقكم الله الايمان به وبرسوله والمنع له ولاصحابه والاعزاز له ولدينه والجهاد لاعدائه فكنتم أشد الناس على عدوه منكم وأثقله على عدوه من غيركم حتى استقامت العرب لامر الله طوعا وكرها وأعطى البعيد المقادة صاغرا داخرا حتى أثخن الله

عز وجل لرسوله بكم الارض ودانت بأسيافكم له العرب وتوفاه الله وهو عنكم راض وبكم قرير عين . استبدوا بهذا الامر دون الناس فانه لكم دون الناس ، فأجابوه بأجمعهم: أن قد وفقت في الرأى وأصبت في القول ولن نعدوا ما رأيت نوليك هذا الامر فانك فينا مقنع ولصالح المؤمنين رضى [1] .

على أن أبا بكر وصاحبيه ماكادوا يستقرون في السقيفة حتى قام خطيب آخر من الانصار وأخذ ينادى بقوله : أما بعد فنحن أنصار الله تعالى وكتيبة الاسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط منا وقد دفت دافة من قومكم فاذا هم أرادوا أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الامر [2] .

ولم يكد هذا الخطيب ينتهى من القاء كلمته حتى ثار عمر وأراد أن يخطب فى الانصار ليضع الامور فى نصابها ولكن أبا بكر رجا عمر أن يتريث وأن يدعه هو يتولى الحديث مع الانصار فوافق عمر وقام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال

---

(١) الطبرى جزء ٣ ص ٢٠٨ (٢) تيسير الوصول حـ ٢ ص ٤٤ .

ان الله بعث محمدا رسولا الى خلقه وشهيدا على أمته ليعبدوا الله ويوحدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ويزعمون أنها لهم شافعة ولهم نافعة وانما هى من حجر منحوت وخشب منجور ثم قرأ ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله. وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى .

فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه والايمان به والمؤاساة له والصبر معه على شدة أذى قومهم لهم وتكذيبهم اياهم وكل الناس لهم مخالف زار عليهم فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنف الناس لهم واجماع قومهم عليهم فهم أول من عبد الله فى الارض وآمن بالله وبالرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الامر من بعده ولا ينازعهم ذلك الا ظالم .

وانتم يامعشر الانصار من لاينكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم العظيمة فى الاسلام رضيكم الله أنصار الدينه ورسوله وجعل اليكم هجرته وفيكم جلة أزواجه وأصحابه ؛ فليس

بعد المهاجرين الاولين عندنا بمنزلتكم فنحن الامراء وأنتم الوزراء لا تفتاتون بمشورة ولا تقضى دونكم الامور (١)

فقام الحباب بن المنذر فقال : لا والله لا نفعل منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر لا : ولكنا الامراء وأنتم الوزراء لن يعرف هذا الامر الا لهذا الحى من قريش هم أوسط العرب دارا وأعربهم أحسابا (٢) فقام الحباب بن المنذر فقال : يامعشر الانصار املكوا عليكم أمركم فان الناس فى فيئكم وفى ظلكم ولن يجترئ مجترىء على خلافكم ولن يصدر الناس الا عن رأيكم ... أبى هؤلاء الا ماسمعتم فمنا أمير ومنهم أمير . فقال عمر : هيهات لايجتمع أثنان في قرن (٣)

والله لانرضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ولكن العرب لاتمتنع أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم وولى أمورهم منهم .

---

(١) الطبرى حـ٣ ص ٢٠٨ (٢) ابن الربيع فى التيسير حـ٢ ص ١٢

(٣) القرن بفتح القاف وراء الجبل الذى يقرن به البعير و يقصد أميران على دولة

ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين من ذاينا زعنا سلطان محمد ﷺ وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته الا مدل بباطل أو متجانف لاثم أو متورط فى هلكة فقام الحباب بن المنذر فقال يامعشر الانصار إملكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر فان أبوا عليكم ماسألتموه فأجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الامور فأنتم والله أحق بهذا الامر منهم فانه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين .

أنا جزيلها (١) المحكك وعزيقها (٢) المرجب والله لأن شئتم ليعيدنها جذعة (٣) فقال عمر إذا يقتلك الله تعالى قال الحباب . بل إياك يقتل فقال أبو عبيدة يامعشر الانصار . إنكم أول من نصروا آزر فلا تكونوا أول من بدل وغير فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال : يامعشر

---

(١) الجزيل تصغير جزل وهو العود الذى يحك به الحرب

(٢) العزيق النخلة الكثيرة التمر ومعنى العبارة أنه عظيم الرأى مجرب

الانصار . انا والله لأن كنا أولى فضيلة فى جهاد المشركين وسابقة فى هذا الدين ما أردنا به الا رضا ربنا وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا فما ينبغى لنا أن نستطيل على الناس بذلك ولا نبتغى به من الدنيا عرضا . فان الله ولى المنة علينا بذلك . ألا أن محمدا ﷺ من قريش وقومه أحق به وأولى وأيم الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الامر أبدا فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم فقال أبو بكر : هذا عمر وهذا أبو عبيدة . فأيهما شئتم فبايعوا . فقال عمر لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك فانك أفضل المهاجرين وثانى اثنين إذهما فى الغار وخليفة رسول الله على الصلاة . والصلاة أفضل دين المسلمين ، فمن ذا ينبغى له أن يتقدمك أو يتولى هذا الامر عليك . أبسط يدك نبايعك . فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما اليه بشير بن سعد . فبايعه . فناداه الحباب ابن المنذر . يابشير بن سعد ما أحوجك إلى ماصنعت أنفست على ابن عمك الامارة . فقال : لا والله ولكنى كرهت أن أنازع قوما حقا جعله الله لهم

وبيعة بشير الخزرجي كسر على سعد بن عبادة ما كان ينتظر وتهافتت الاوس على بيعة أبي بكر ، وازدحم الناس على البيعة حتى لقد وطئوا سعد بن عبادة بأقدامهم واقبلت أسلم بجماعتها حتى تضايق بهم السكك فبايعوا أبا بكر وأقبل الناس من كل جانب يبايعون لابي بكر ولم يخالف عليه أحد سوى سعد ابن عبادة الذي كادت تؤخذ البيعة له وكان مريضا فنقل من السقيفة الى بيته بعد ملاحاة مع عمر حتى كادت تؤجج فتنة لولا تدخل أبي بكر

بهذا استطاع أبو بكر وصاحباه عمر وابو عبيدة ، أن يسكنا هذه الفتنة التي كادت تهدد الدولة الاسلامية الناشئة في أحرج ظروفها .

واذا كان لنا أن نتساءل عن الحافز لهؤلاء المؤمنين الذين صحبوا الرسول في أدق الظروف ، وكانوا عصب الدعوة وحماتها ، فان من أول ذلك وأقربه الى العقل ما نسجله فيما يأتي .

(١) تأصل الروح القبلية في نفوس العرب .

وقد كان المسلمون فى حياة الرسول ينتمون الى قبائل شتى ، وبطون مختلفة وأجناس متباينة ، وكان الى جانب هذا اخلاط من اليهود والمنافقين يساكنون هؤلاء المؤمنين في المدينة وغيرها . فلما نعي الناعى رسول الله وقع ذلك من نفوس المسلمين موقع الرعد والصواعق . فهزها هزا عنيفا وكاد يأتى على بنيان الايمان من القواعد .

أجل . جزع الانصار اذ قيل رسول الله قد مات وقلقت نفوسهم وغذى اليهود والمنافقون هذا القلق باثارة الاحقاد العربية القبلية وأذكوا روح المنافسة القديمة بين قبائل العرب فتهدج صوت الايمان فى قلوب كثير من نقباء الانصار فشار هؤلاء الى سقيفتهم ، لا بوصفهم انصار الاسلام ، بل باعتبارهم أصحاب البلد ، وأبناء الاوس والخزرج وأنه من الخير لهم أن يبرموا أمرهم فى غيبة من المهاجرين الذين وفدوا عليهم صحبة الرسول الكريم (١)

(٢) تصريحات الرسول للانصار .

---

(١) انظر فى هذا خطاب الحباب تجد فيه هذا المعنى واضحا

ثم أن الانصار يتمسكون باحاديث أثرت عن رسول الله تفيد أن الرسول رجل من الانصار ، وانهم آله وعشيرته فظن الانصار أن رياسة المسلمين بعد رسول الله يجب أن تكون فيهم وحدهم ، ولهذا رأوا أن يولوا أمير المؤمنين منهم وأن يجتمعوا على زعيمهم سعد بن عبادة ، وأن المهاجرين اذا علموا بذلك لا ينازعون في هذا

الانصار اذن متأولون مجتهدون ، فهم مأجورون وان أخطأوا اذ غايتهم وضع الامور في نصابها، وان أخطأ والمحجة فى نظر الاغلبية .

أما تلك التصريحات التى استند اليها الانصار فمن أهمها .

أولا ـ ما ورد في بيعة العقبة الكبرى. اذ قال الرسول لوفد المدينة مع مصعب بن عمير الدم لدم والهدم الهدم يعنى أنا منكم وأنتم منى أيها الانصار . وهذا عندما قال الانصار للرسول . فهل عسيت ان نحن بايعناك وقاطعنا

اليهود ، ثم أظهرك الله تعالى ان ترجع الى قومك وتدعنا : فعند ذلك صرح لهم ذلك التصريح الانف

ثانيا ـ ماحدث فى غزوة بدر الكبرى سنة ٢ هـ (٦٢٤ م) فقد أخذ الرسول يستشير الناس في لقاء المكيين فشاور المهاجرين فوافقو على قتالهم ، وجندوا مصادمتهم . ولكن الرسول لم يقدم على الحرب ولم يهتم برأى هؤلاء المهاجرين .

ثم أعاد الاستشارة ووجهها الى الانصار فوافقوا فعند ذلك استطاع الرسول أن ينشب القتال وهو مطمئن إذ كان المدد والشوكة فى الانصار ، وهم الاكثرية الساحقة فى جيش المسلمين ، وبهم وحدهم كان النصر الذي كان سببا فى القاء هيبة المسلمين في نفوس المشركين .

ثالثا ـ وفى فتح مكة ، كان الانصار هم الذين أرغموا قريشا على الطاعة بما لهم من المدد والسلاح ، فهم عضد الرسول وساعده عند الشدائد ، وهم فاتحوا مكة فلهم السيادة بحكم الفتح على قريش .

ويوم حنين ، وقد غنم المسلمون مغانم كثيرة ، فاعطى الرسول ناسا لما يرى فيهم من ضعف ونفاق ، وترك الانصار ، فظنوا أن ذلك لهوانهم على الرسول ، فتحدثوا وأكثروا ، فعلم بهم رسول الله فجاءهم ، وحدثهم وطمأنهم مؤكدا لهم أن تصريحاته السابقة باقية ، وانهم آله وعشيرته ، وأنه أصبح رجلا من أهل المدينة لا من أهل مكة . ثم قال . أفلا ترضون يامعشر الانصار أن يذهب الناس بالشاه والبعير ، وترجعوا برسول الله الى رحالكم . فو الذي نفس محمد بيده لولا الهجرة ، لكنت أمرءا من الانصار ، ولو سلك الناس شعبا وسلك الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار

نقول : بامثال هذه التصريحات ، والخدمات تشبث الانصار بأحقيتهم في أمارة المؤمنين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ ـ الروح القومية :

كذلك رأى الانصار انهم أصحاب العاصمة الاسلامية وهم ملاك الاراضي ، وأصحاب الضرع والزرع في المدينة

وانهم وقد أقاموا دولة الاسلام فى بلادهم وبسواعدهم ـ لاينبغى فى شرعة السياسة أن يتخلوا عن السيادة فى وطنهم لقوم أجانب عنهم ، وان كانوا أعزة عليهم ، ومتفقين وأياهم فى دينهم وملتهم . لان هذا معناه تسامح فى أبسط شئون الوطن مما يجعل الاجنبى يتحكم فى رب الدار ، وهذا ليس من منطق المصلحة ولا أسلوب الحكم والادارة بل أن الذى ترتضيه الجماعة أن يكون أميرها من بينها ، ومن أقربهم الى افرادها

كان الانصار إذن مدفوعين بعامل القومية ؛ ولذلك كانت ثورة أحد سادتهم تدور حول هذا المعنى . فهذا الحباب يقول . فان أبى المهاجرون أن يؤمروكم عليهم ، فأجلوهم عن بلادكم .

وهذا لم يصدر من الحباب إلا لاقتناعه بأنه صاحب البلاد ، والمواطن الاصيل ـ فى رأيه ـ ومن ثم فانه إما أن يوافق المهاجرون على اسناد الرياسة إلى الانصار ، أو فليخرجوا من المدينة التى هى بلاد الانصار . بيدانه مع وضوح هذا

السبب من الانصار ، نري من الحق أن نشير إلى أنهم قد غفلوا عن مبادىء أخرى وضعها الرسول ، ودعمها بالقول والعمل . وتلك هى أن رسول الله قد آخى بين المهاجرين والانصار وجعلهم شركاء فى المدينة ، وبهذا أصبح المهاجرون مواطنين كالانصار سواء بسواء .

كذلك نرى الرسول يصرح فى مناسبات متعددة بان المسلمين كتلة واحدة ، وجسم واحد ، وأن ذمتهم واحدة يقوم بها أدناهم وأن الاسلام يجب ما قبله من حزازات ومنافسات وقوميات وأن كل من يعتنق الاسلام من أى جنس ولون يكون له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، وأن كل أمور المسلمين يجب أن تعرض عليهم ويبدي كل فرد فيها رأيه ، وان أكرم المسلمين أتقاهم سواء كان مكيا أو مدنيا ، وان المفاضلة فى جميع الشئون الدينية والسياسية وغيرهما لا تكون إلا بالتقوى وهى التمسك بروح الاسلام وحسن التدبير ، وقوة الصبر مع الله . والجهاد فى سبيل دينه ورسوله .

ومن كل ذلك نستطيع أن نقول . إن الانصار كانوا دعاة

قومية محلية وأما المهاجرون فكانوا يريدونها قومية اسلامية أو جامعة إسلامية ولعل الفرق بين الرأيين يتضح لنا إذا افترضنا نجاح الانصار فى تأمير أحد المدنيين على مسلمة المدينة كما أراد الحباب ، فتكون دولة اسلامية فى المدينة تنفذ أوامرها على يثرب فقط .

أما المهاجرون فانهم حالوا دون هذا . اذ كانت نظريتهم أن ينتخب المسلمون جميعاً فى جميع انحاء البلاد الاسلامية أميرا عليهم يوجههم ويشرف على دينهم ودنياهم وهذا ماقد كان وهو الموافق لمحكم التعاليم الاسلامية

بقى أن نشير إلى النتائج التى أسفر عنها مؤتمر السقيفة وما بقى منها فى المسلمين فى العصور التالية

وأول هذه النتائج ، الشورى التى بدت واضحة فى مبايعة أبى بكر ، إذ عرضت المسألة على بساط البحث وأدلى كل برأيه ، ثم تغلب رأى المهاجرين فبويع ابو بكر ، وقد ظلت الشورى كمبدأ فى بيعة الخليفة وولى عهده طوال دولة الخلفاء الراشدين والدول التى تلتهم ، وان تطورت يتطور

العصور . فنراها فى عصر الملك الوراثى زمن الامويين والعباسيين بل اصبحت الشورى مسألة رسمية شكلية يتظاهر الملوك بالعمل بها لا اكثر . والحقيقة سافرة عن الاستبداد ونبذ الشورى .

الانتخاب

كذلك سنت السقيفة مبدأ الانتخاب لا صلح الموجودين من كبار رجال الدولة ، وقد عمل بهذا المبدأ أيام الأربعة الراشدين ، وترك بعدهم مباشرة فلم تعمل به أسرة من الأسر التى حكمت المسلمين بوجه عام .

البيعة

ومن المبادىء التى سنتها السقيفة مبدأ البيعة ، وهى أن يصافح الناس أميرهم علامة على الرضا بأمارته ، وقد ظل هذا المبدأ ، وتطور بتطور الزمن ، بيدانه ظل على كل حال

ومما سنته السقيفة ، أن يتقدم الأمير بخطاب بين يدى حكمه وبعد مبايعته يبين فيه منهجه وخطته فى الحكم ليرتاح إليه المحكومون ويعرفوا مسلكه فى الحكم . وقد ظل هذا المبدأ معمولا به حتى الآن وهذه عادة قديمة ورثها

الاسلام عن الأمم السابقة ولم ينسخها بل أقرها ، واستحسنها المسلمون فساروا عليها .

على أن من أهم النتائج التى أسفر عنها هذا المؤتمر نشوء بذور الفرق الاسلامية التى تشكلت فيما بعد .

فقد كان فريق الأنصار وهم الذين لا يريدون تأمير قريش ووافقهم بعد مدة طائفة الخوارج ، مع فارق بسيط وهو أن هؤلا يدينون بالمبدأ الجمهوري المحض ، والأنصار يريدون صرف الخلافة عن قريش لتكون فى أهل المدينة دون سواهم .

كذلك كان هناك فريق يرون حصر الخلافة فى آل البيت ، وهؤلاء هم الذين نظمت على أساسهم فرق الشيعة فى العصور التالية وإلى جانب هؤلاء وأولئك كان الجمهور الأعظم الذى بايع لأبى بكر وهذا الجمهور هو الذى جاء على أساسهم فريق أو حزب أهل السنة والجماعة.

وعلى هذا يكون مؤتمر السقيفة أساسا لنشوء مذاهب أهل السنة والشيعة ، والأنصار ثم الخوارج ، وأخيرا

المعتزلة . أن صح إن فريقا من المسلمين اعتزل المهاجرين والأنصار ورفض أن يبايع لأحد من هؤلاء أو هؤلا وهذا لا يؤيده مستند يوثق به .

بيعة أبي بكر

وبالشكل الذى أبناه تمت بيعة أبي بكر فى السقيفة ، ولكن هل يمكن أن يعتمد المسلمون خلافة أبي بكر بهذا الانتخاب العابر ، ولم يحضر جلتهم وجل كبرائهم هذه البيعة ، بل أنهم لم يدعوا إليها ولم يعلموا بها . الواقع أن هذا المعنى لم يغب عن أبي بكر ، ولذلك نراه بعد أن يتم تجهيز الرسول ومواراته ، يطلب من المسلمين أن يجتمعوا لأمر هام ، فيحضر كبار المسلمين ، وكل ذى رأى فيهم ، ثم يقف عمر بينهم ويخطبهم قائلا .

أيها الناس ، إنى قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلا عن رأيي وما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهدا عهده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن قد كنت أرى أن رسول الله سيدبر أمرنا حتى يكون آخرنا ،

وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى هدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له . وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ، وثاني اثنين إذ هما فى الغار ، فقوموا فبايعوا ، فعند ذلك بايع الناس بيعة العامة بعد بيعة السقيفة[1] .

وعلى ذلك تعتبر بيعة أبي بكر ، ناشئة عن شورى ورضا من المسلمين ويعتبر انتخابه حرا لا جبر فيه ولا استبداد لأنه بعد ما سكن الفتنة فى السقيفة وكانت حينئذ بيعة ، لم يكتف أبو بكر بها ، بل جمع الناس وعرض عليهم ما كان فى هذه السقيفة ، فايد المسلمون بيعته فيها وجددوا له التأييد بالبيعة له ، ولم يخالف عليه أحد إلا من ذكرنا من مثل سعد بن عبادة والحباب بن المنذر ، وكان ذلك فى السقيفة أما حين بيعة المسجد العامة فى اليوم التالى ، فان الطبرى يروى أنهما بايعا ، مختارين ، وإن كانت هناك روايات أخرى أيضا تقول بامتناعهما مدى الحياة[2]

---

(١) انظر الطبرى حـ ٣ ص ٢٠٣ (٢) نفس المصدر السابق .

أما ما يقال من امتناع بنى هاشم وعلى رأسهم العباس وعلى عن مبايعة أبى بكر فاننا سنتحدث عنه حديثا أوفى بعد قليل .

بعد أن انتهى عمر من خطبته السابقة بين يدى أبى بكر وقام المسلمون فبايعوا له ، قام أبو بكر على المنبر فحمد الله وأثنى عليه بالذى هو أهله ، ثم قال .

أما بعد . أيها الناس فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني . الصدق أمانة والكذب خيانة . والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى منكم الضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع أحد منكم الجهاد فى سبيل الله ، فانه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء . أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله . وبهذا البيان البديع ، والخطاب الحكيم افتتح أبو بكر خلافته وحدد منهجه ، وأجمل

برنامجه ، ولم ينس أن يؤكد لهم وجوب النصيحة للخليفة وطاعته متى أطاع الله ورسوله . كما أكد لهم فريضة الجهاد، وأسهب في الحث عليها :

تقدير أبي بكر

كان أبو بكر رضى الله عنه قبل إسلامه يعيش فى مكة تاجرا موسرا بزازا يبيع الثياب ، وكان رأس ماله حوالى الأربعين ألف درهم ، وكان عالما بانساب العرب وأخبارها ، عف النفس واللسان ، حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية ، وكان كريما معوانا للضعيف ، بارا بأقاربه صريحا في الحق ، صدوقا فى القول .

وأبو بكر من أولئك العشرة الذين انتهت إليهم المكارم من قريش . فكانت إليه « الإشناق » وهى الديات والمغارم فكان إذا احتمل شيئا فسأل فيه قريشا صدقوه ، وأمضوا ما احتمل وإذا احتملها غيره خذلوه ويؤكد المؤرخون أن الصداقة انعقدت بينه وبين الرسول قبل الاسلام[1]

---

(١) أنظر مذكرات حسونه بك لاصول الدين .

ولما أسلم أبو بكر سماه الرسول ، عبد الله ، وكان أعداؤه يكنونه أبا فصيل وهو أول من أسلم من الرجال وإذا شك أحد فى هذا ، فلا مجال للشك فى أنه من أسبق أعوان الرسول ، وأخلص المؤمنين بدعوته ذلك الايمان الذى بلغ درجة اليقين المحض يقول الرسول صلى الله عليه وسلم . ما دعوت أحدا الى الاسلام إلا كانت له كبوة غير أبى بكر . وفى حديث آخر . « ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد أفضل من أبى بكر الا أن يكون نبى وبلغ من ايمانه ، انه لما نزل قوله تعالى « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم » قال يا رسول الله ، لو أمرتنى أن أقتل نفسى لفعلت . فقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله « صدقت » .

ولم يتسرب الشك الى نفسه حتى فى حديث الاسراء ، حين كان الناس بين مصدق ومكذب ، وحين ارتد إناس ممن كانوا آمنوا . أما أبو بكر فقال أنى لا صدق بما هو

أبعد من هذا . أصدقه فى خبر السماء في غدوة أو روحة ، فسمى أبو بكر الصديق من يومئذ

كان أبو بكر لين الجانب ، كريم الشمائل ، فاجتذبت هذه الصفات محبة الناس له ، وأجلالهم لقدره . فأسلم على يديه رجال عظماء منهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبى وقاص ، والزبير بن العوام . وعبد الرحمن ابن عوف .

ولم تكن تضحية أبى بكر قاصرة على اخلاصه للمبادىء الاسلامية ، بل لقد أنفق فى سبيل هذه المبادىء حوالى خمسة وثلاثين ألف درهم من خالص ثروته . حتى اذا كانت الهجرة لم يبق له سوى خمسة آلاف درهم . أنفق كل هذا فى طاعة الله . وقد اعتق سبعة كلهم يعذب فى الله ، فكان يعتق العجائز والنساء حتى قال له أبوه . أى بنى أراك تعتق أناسا ضعافا فلو أنك تعتق رجالا أقرياء يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك . فقال . أى أبت أنا أريد ما عند الله .

وفى أبى بكر نزل قوله تعالى « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى » الآية من سورة الأعلى

وعلى الجملة ، فان أبا بكر كان نسيج وحده فى الدين والخلق ، والعلم والكرم وكان آية للرجولة فى أنقى صفحاتها وأنبل نعوتها ، وكان يجمع الى دماثة الخلق شجاعة القلب ، وقوة الارادة

حدّث على رضى الله عنه فقال . أخبرونى : من أشجع الناس ، فقالوا أنت فقال . أما أنى ما بارزت أحداً الا انتصفت منه . ولكن أخبرونى باشجع الناس ، قالوا لا نعلم فمن : قال أبو بكر ، أنه لما كان يوم بدر فجعلنا لرسول الله عريشا ، فقلنا من يكون مع رسول الله لئلا يهوى اليه أحد من المشركين فوالله ما دنا منا أحد الا أبا بكر شاهرا بالسيف على رسول الله لا يهوي اليه أحد الا هوى اليه ، فهو أشجع الناس . وقد أبنا فيما سبق موقفه من وفاة الرسول ، وكيف ثبت فى أدق مرحلة عرفتها الدولة الاسلاميه ، ثم كيف استطاع أن يسكن فتنة السقيفة مما لا داعى لاعادته .

خلاف علي و بني هاشم وما قيل فيه

على الرغم من ان ثقات المؤرخين يذكرون ان ابا بكر كان متفقا عليه من جميع المسلمين ، ولم يتخلف احد عن بيعته ؛ حتى سعد بن عبادة نفسه يروى انه بايع في بيعة العامة كما اسلفنا .

بل على الرغم اننا لم نسمع فى التاريخ ان عليا ثار على ابى بكر - على الاقل - كثورة الانصار فى السقيفة . ولم يقف فى الجمع الحاشد حين بيعة العامة . يندد بأبى بكر ومن بذل له البيعة .

على الرغم من هذا كله نرى ان ابن الاثير وغيره يتحدثون عن خلاف علىٍّ على ابى بكر ، وامتناعه و بنى هاشم عن مبايعته ، ويسندون هذا الحديث الى عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها (١)

---

(١) أنظر تيسير الوصول حـ ٣ ص ٤٦ ، وقدجاء فى هذه =

ومما ينبغي ذكره هنا ، ان صاحب الكامل، والخضري وغيرهما قد رجحا رواية هذا الخلاف وتبعهما من لف لفهما في ذلك .

ولكننا بعد الموازنة بين الحقائق التاريخية . نرى ان عليا بايع منذ بيعة العامة . وان المسلمين جميعا عدا سعد بن عبادة قد بذلوا البيعة مختارين لابي بكر . ولم يتخلف على ولا بنو هاشم عن مبايعة الخليفة الاول . وذلك لعدة أمور.

= الرواية أنه أتت فاطمة والعباس (رض) أبا بكر (رض) يلتمسان ميراثهما من رسول الله (ص م) فقال أبو بكر . سمعت رسول الله يقول . لا نورث . ما تركناه صدقة . . . فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت بعد ستة أشهر فدفنها على ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر « وفي هذه الرواية أيضا » فلما رأى على انصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر ، ثم تذكر هذه الرواية أن عليا تقابل مع أبي بكر وتعاتبا ثم بايع لأبي بكر ، وتبعه بنو هاشم ، فرضى الناس عن على « حين راجع الأمر بالمعروف » الخ اهـ تسير الوصول حـ ٢ ص ٤٦ — ٤٧

أولا ـ ماذكره الطبرى فى تاريخه [١] من ان عليا بايع من أول الامر وقد رواه بسنده عن سعيد بن زيد [٢] وحبيب بن ابى ثابت [٣] وكذلك مراجعته لابى سفيان ابن حرب [٤]

---

(١) تاريخ الأمم والملوك حـ ٣ ص ٢٠٩ وما بعدها .

(٢) نص الأثر الوارد « قال عمر بن حريث لسعيد بن زيد ، أشهدت وفاة رسول الله (ص م) . قال: نعم قال. فمتى بويع أبو بكر قال يوم مات رسول الله (ص م) . كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا فى جماعة . قال : فهل خالف عليه أحد . قال . لا إلا مرتدا أو من قد كاد أن يرتد . لولا أن الله عز وجل ينقذهم من الأنصار . قال فهل قعد أحد من المهاجرين . قال : لا : تتابع المهاجرون على بيعته من غير أن يدعوهم » .

(٣) نص حديثه « كان على فى بيته اذ أتى فقيل له قد جلس أبو بكر للبيعة فخرج فى قميص ما عليه إزار ولا رداء عجلا كراهية أن يبطىء عنها حتى بايعه . ثم جلس إليه وبعث إلى ثوبه فأتاه فتجلله ولزم مجلسه » .

(١) ذلك أن أبا سفيان قابل عليا بعد مبايعته لأبى بكر فى البيعة العامة وقال له : مالى أرى هذا الأمر فى أقل حى من قريش والله لئن شئت لنملأنها خيلا ورجلا . فقال على . يا أبا سفيان طال ما عاديت الاسلام وأهله فلم تضره بذاك شيئا . إنا وجدنا با بكر لها أهلا . وطبيعى انه متى وجد على أبا بكر أهلا للخلافة ، أفانه لن ينازعه ، وذلك الذى قد كان فيما نرى.

ثانيا — ان عليا كان الى جانب ابى بكر في حروب الردة وكان على من جنوده المخلصين حتى لقد وكل اليه قيادة فرقة الانقاب مع الزبير وابن مسعود [١] وهى الفرقة التى كانت مهمتها حراسة الطرق المفتوحة الموصلة الى العاصمة ضد غارات المرتدين

ثالثا — ان عليا بايع فيما بعد لعمر بن الخطاب ووقف الى جانب عمر ، وصاهره عمر فتزوج ام كلثوم ابنة على من فاطمه وعمر ولى عهد ابى بكر وخليفة المسلمين من بعده فلا يعقل ان يمتنع عن بيعة ابى بكر ، ويبايع لعمر الذى هو ادنى منزلة وقدرا من ابى بكر

رابعا — ان عليا كان ملازما للخلفاء الثلاثة السابقين عليه ، فبايع عثمان كما بايع لصاحبيه من قبل ، بل انه كان اطوع لعثمان من بنانه فى الوقت الذى باعده البعيد والقريب ، وثارت عليه امصار الدولة ولامته عائشة ام المؤمنين

ولكن عليا لم يخذل عثمان ولم يمن عليه ، بل صدقه

---

١ الامم الملك للطبرى ج ٣ ص ٢٢٣

أذ كذبه الناس ، ودافع عنه اذ تركه معاوية نفسه

فهل لمثل هـذا الرجل يقال انه خالف ، فلما جفاه الناس وافق وهل فى التاريخ فرية أشنع من هذه على رجل كله خير واعراض عن الباطل واستمساك بروح الاسـلام

ثم ان خلق على وسجاياه التى طفحت بها كتب التاريخ تجعلنا نعتقد ان عليا ليس من اولئك المتملقين الذين بالدين يأكلون وبالمداراة يعيشون ، ويبنون مجدهم على نفاق الفوغاء ومخادعة الدهماء

لقد حدثنا التاريخ ان عيب على الوحيد ، يتركز في سلوكه سبيل الحق في معاملة الجميع ، فلا يعطى احدا فوق ما يستحق ، ولو فى ذلك ضياع سلطانه ، حتى لقد كانت هذه السياسة من اهم الاسباب فى اخفاقه ضد معاوية الذى كان ينشد الملك ويهون كل شىء فى سبيله ، وقد كان يعطى ولا يمنع ، ولا يبالى ايؤخذ بحق ام بباطل ، مادام فى هـذا النجاح لسياسته

هذا الذى اجمع عليه المؤرخون يرينا صورة علىّ على

فقائها فهو لا يداهن فى دين الله ، ولا يقبل غير الحق ولو كلفه ذلك فصل هامته

فهل يمكن لمثل هذا ان يجامل الناس فيطيعهم اذ يظفر بالسلطان ، ويعصيهم اذ ينصرف عنه الجاه والنفوذ

خامسا - واخيرا فان رواية الخلاف التى أشرنا اليها ، على ما بها من اضطراب وتفكك . هى متناقضة . فى نفسها اذ بينما يتحدث الراوى عن الميراث . اذا به يخلط بها مسألة الخلافة مما يدلنا على ان واضعها من الشيعة الغلاة الذين يقولون بان الخلافة بالنص لا بالشورى

ومن هنا كانت حملتنا عليها وعلى ما تضمنته من امور توصحت لغيرت تاريخ ملى من اساسه . وذلك قلب للحق ولما اجمع عليه المؤرخون وفي مقدمتهم الشيعة الذين . فيما نظن - هم المؤلفون لرواية الخلاف هذه

وقبل أن نختتم الحديث عن السقيفة وما تلاها ، نرى أن نعرض لمسألة أخرى تشبه هذه المسألة تماما ، وتلك هى ما نسب إلى أبى بكر من أنه عند ما ذهب إلى السقيفة وشهد حال الأنصار ، روى لهم حديثا عن الرسول فعند ذلك بايعوا له ، وسكنوا ، وكفوا عن الخلاف .

أما هذا الحديث المزعوم فهو (الأئمة من قريش) . وقد ذكر ذلك الخضرى فى محاضراته ، وسبقه إليه ابن خلدون فى تاريخه ومقدمته .

والذى يهمنا فى هذا المقام أن رأينا مخالف لرأى الخضرى واسلافه ودليلنا على ذلك ما نوجزه فيما يلى :

— عدم وجود هذا الحديث ضمن خطب أبى بكر سواء فى السقيفة أو المسجد ، فى البيعتين العامة والخاصة ، ولا فى خطب عمر أو غيره ، كما أبنا آنفا .

— أن اجتماع السقيفة ، وتداول الأنصار فى الأمر ومقارعة المهاجرين لهم بالحجج إلا قناعية يدل بوضوح على أنه لم تكن هنالك نصوص تقيد المسلمين بقبيلة معينة أو بيت

معين ، بل ترك الأمر للمسلمين يشكلونه حسب المصلحة العامة لدولتهم .

— أن هذه الرواية لم نجد لها أصلا فى الصحيح من أحاديث الرسول بهذا النص وكل الروايات . على علاتها — التى وردت فى هـذا الشأن بأساليب مختلفة ، لم تكن فيها رواية بهذا النص[1] .

— كلمة (إمام) الواردة في هذا الحديث لم تعرف بلغة ذلك العهد ، كعلم على خليفة الرسول (أمير المؤمنين) بل هى اصطلاح على إمام الصلاة أو إمام الدين فحسب ، وبين يدينا ألقاب الرئيس الأعلى للدولة الاسلامية ونراه يلقب أولا « الخليفة » ثم « خليفة الخليفة) ثم (أمير المؤمنين) ويظل ذلك علما على كل رئيس يتولى رياسة الدولة الاسلامية حتى كان العصر الثانى للدولة العباسية ، فنشأ هذا اللفظ (إمام) وأطلق على خليفة الاسلام ، وقد كان ذلك عند ما أصبحت للشيعة دول تنافس الدولة العباسية ، وتنازعها السلطان ،

---

(١) أنظر تيسير الوصول (باب الخلافة) .

فاتخذ هؤلاء كلمة الأئمة ، أحياء لذكرى أئمتهم الذين نكل بهم الأمويون والعباسيون .

وأما إطلاق كلمة «الامام» على ابراهيم بن محمد العباسي « في أواخر الدولة الاموية ، فلا ينافي ما ذكرنا . اذ كان الامام المذكور مجرد رئيس للجمعية السرية التي تسعى للوصول الى الحكم على انقاض الأموية ولذلك نرى أن أول خليفة يتولى الحكم يلقب بأمير المؤمنين ، ويظل يخاطب به سائر خلفاء العباسية

٥ — على أن روح الاسلام — وهي شورية محضة — تنبو عن هذا الحديث ، لأن النص تستحيل معه الشورى والانتخاب ، ويترتب على ذلك — ان صح — الزام المسلمين بالوقوف عند حد المنصوص طبقا للتعاليم الاسلامية ويكون جدل الأنصار مخالفة صارخة لمبادىء الدين ، كما أن خروج الامارة من قريش يعتبر خروجا على الاسلام الذي ينص على أن الامارة يتحتم أن تكون فيها . وكل ذلك مخالف للحق والتاريخ . اذ الانصار من خيار المسلمين ، والامارة

خرجت من قريش فى عصور كثيرة وروح الاسلام لا تتفق مع هذا الحديث والكتاب الذى هو ميزان الاسلام لا يشير على المسلمين الا بعمل الاصلح فى دينهم ودنياهم ، بل انه ليصرح ان التقوى . هى الاساس فى وزن الرجال «ان اكرمكم عندالله اتقاكم» . وكذلك الحديث الصحيح ينادى بانه . لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى : اسمعوا وأطيعوا ولو تأمر عليكم عبد ، ولهذا واشباهه نرى ان هذا الحديث . سواء كان على سبيل الخبر او الانشاء لا ينسجم مع روح الاسلام ، ولا مبادىء النبى فى السياسة والادارة فقد امر زيدا واسامة ابنه وهما من الموالى على كبار رجالات قريش . وفعل ذلك أبو بكر

وانما كل ما في المسأله ان الشيعة الذين دبجوا مسألة امتناع على هم كذلك وضعوا هذا الحديث لينصروا به مذهبهم فى التنصيص على الخليفه وذلك ليتوصلوا الى النص على على (رض) وهو مايقصدونه ومادعا اليه السبئية من قبل وان

كانت السبئية تقول بالوصية الى على بالذات . وترى رفض امارة غيره من قريش وبالجملة فهذا الحديث فى رأينا غير صحيح . لما اسلفنا

أما عن مسألة التآمر التى يرمى بها المستشرقون ابا بكر وعمر وابا عبيدة وعائشة فقد اوجزنا فيما سبق ردا عليها (١)

« حروب الردة » في جزيرة العرب

لم يكد ينتشر خبر وفاة الرسول خارج المدينة حتى ثارت نفوس الاعراب الجامحة واشتد هلع المؤمنين المخلصين كما ارتدت بعض القبائل التى لم تتأثر بتعاليم الاسلام ، وظهر كثير من المتنبئين الادعياء الذين كانوا قد ظهروا فى حياة النبى فى الجهات البعيدة ، وأضحى الدين الجديد فى خلال مدة وجيزة محصورا فى المدينة وحدها . وهكذا أخذت يثرب على عاتقها من جديد أن تحارب القبائل العربية المرتدة إلى الوثنية .

---

(١) انظر الفصل الاول من هذا الكتاب .

أما أسباب الردة فيمكن أرجاعها إلى أمرين :

أحدهما تلك المبادىء الأخلاقية الصارمة التى فرضها لاسلام فرضا : والثانى ، نفور العرب من أداء الزكاة ، واعتبارها إتاوة تؤخذ منهم قسرا[1] .

على أن مما ساعد على تفاقم أمر هؤلاء الخارجين على حكم المدينة ، أن وجد بينهم قواد ساخطون على حكم المسلمين بها ، أدعى بعضهم النبوة وحاول أن يقلد رسول الله فى جمع العرب من حوله ، وتكوين دولة تحت زعامته وكانت قبائل بنى حنيفة وبنى تميم ، ومذحج باليمن من أظهر القبائل التى أدعي زعماؤها النبوة

ففى بنى حنيفة ظهر مسيلمة ، وادعى أنه نبي ، وكان اول ظهوره في حياة الرسول ، وكانت بنو حنيفة تنزل اليمامة قرب البحرين ، فكانت بذلك بعيدة عن عاصمة الدولة الاسلامية ، وقد حاول مسيلمة هذا أن يصالح النبي على

---

(١) مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى (بالانجليزية) .

أن يكون له جزء من جزيرة العرب وللرسول الباقى فرفض النبى طلبه[١] .

كذلك قام قرب نجد - طليحة رئيس قبيلة بنى أسد وادعى النبوة وجمع له أتباعا في حياة الرسول . ولكن لم تنجح هذه الحركات إذ أخمدها الرسول فى حياته ، وظل مسيلمة وطليحة مغلوبين على أمرهما طوال حكم الرسول للدولة الاسلامية ، مع تظاهرهما بالاسلام والطاعة .

أما فى اليمن ، فان عيهلة الأسود من قبيلة مذحج ، عن له أن يمخرق على قومه ، فتبعه خلق كثير ممن يحبون الفوضى والأباحية ، ويبغضون النظام والسلوك الفاضل ، وبذلك تقوي الاسود وخرج مدعيا النبوة ، فأغار على أطراف الدولة الاسلامية باليمن ، واستطاع أن يخرج عمال النبي منها حتى أن المرشد العام لاقاليم اليمن وحضرموت لم يستطع أن يأمن على نفسه إلا بجوار قبيلة قوية .

---

(١) انظر الطبرى حـ ٣ ص ١٦٢ .

والمرشد العام هنا هو معاذ بن جبل الذى أقامه الرسول معلماً متنقلا بين جميع مخاليف اليمن وأمصارها . وقد صاهر قبيلة السكون ليأمن شر الاسود حين تفاقم شأنه

على أن خطر هذا المتنبىء الجديد ، لم يقتصر على اليمن وحضرموت ، بل تعداها إلى الحجاز حيث وصل نفوذه إلى الطائف بجوار مكة ، وخشى الرسول أن يصل نفوذه إلى المدينة نفسها .

لذلك اتخذ الرسول الحيلة وسيلة فى القضاء على هذا الدعى الذى أباح الابضاع والاموال ، وأشاع الفساد فى الارض .

كان عامل الرسول على اليمن منذ أسلمت ، باذام[1] أحد الانباء ، فلما مات هذا فرق الرسول عمله بين رجال عدة ، ولكنه احتفظ لشهر بن باذام بامارة صنعاء قصبة اليمن .

فلما كانت حركة الاسود ، قتل شهر بن باذام أثناء قتاله مع الاسود . وقد ملك الاسود صنعاء وتزوج امرأة

(١) كذلك فى الطبرى ، وفى ابن الاثير باذان

شهر وهى من الابناء [1] ، وقد دبرت هذه المرأة الفارسية الموتورة من الاسود لقتله زوجها شهر بن باذان ، مؤامرة مع بعض الابناء ، وتمكن فيروز من قتل الاسود وتخليص صنعاء من شره وكان ذلك قبيل وفاة الرسول بأيام .

غير أن قتل الاسود لم يقض على حركته ، فقد اصطنع هذا الرجل كثيرا من عرب اليمن ، وجند جيشا كثيفا لغزو البلاد ، حتى ليقال أن فرقة الفرسان بلغت سبعمائة فارس مجهزة بأحدث الاسلحة فى عهده. وسبعمائة فارس عدد كبير في ذلك الوقت وفى شبه الجزيرة .

ولذلك ظل الخطر على الدولة الاسلامية ماثلا فى اتباع الاسود وجنده المدربين حتى تولى الخلافة أبو بكر فى سنة ١١ هـ

* * *

(١) هم الجماعة التى أقامت باليمن من الفرس منذ ضم اليمن الى ايران قبل الاسلام وقد أطلق العرب على هؤلاء الايرانيين لقب الابناء .

وفى[1] المحرم من سنة ١١ هـ ضرب الرسول على الناس بعثا إلى الشام، وأمر على الجيش مولاه وابن مولاه أسامة بن زيد بن حارثة، وأمره الرسول أن يدخل تخوم البلقاء والدارم من أرض فلسطين، فتجهز الناس، وانضم إلى البعث المهاجرون الاولون جميعاً، واستعدوا للخروج.

فى هذه الاثناء بدأ مرض الرسول صلى الله عليه وسلم وشغل المسلمون بحركات مسيلمة والاسود، واستأخر خروج البعث، حتى لقد أكثر المنافقون فى عيب إمارة أسامة المولى الشاب، على كبار المهاجرين، ونقباء الانصار وبلغت الرسول قالتهم، فغضب ورد عليهم بقوله «أن قالوا فى إمارته لقد قالوا فى امارة أبيه من قبله، وإن كان أبوه لخليقا للامارة، وإنه لخليق لها. فانفذوا بعث أسامة، لعن الله

---

(١) هذه أرجح الروايات فى بدء الاستعداد، ويقال أن ذلك كان فى أواخر صفر.

الذين يتخذون قبور أنبيائهم مساجد[1] .

ونظرا لتصميم الرسول على خروج بعث اسامة ، فقد فصل من المدينة وعسكر بالجرف خارجها . وظل اسامة وجنده يرقبون حركات المتنبئين ، ولا يبتعدون عن المدينة لاشتداد المرض على رسول الله

وبينما الحال على ذلك ، توفى الرسول صلى الله عليه وسلم واشتدت الفاجعة على المسلمين فتفرق بعث أسامة . وكانت مسألة السقيفة وبويع أبو بكر ، فخفف من ألم الكارثة وثاب المسلمون الى رشدهم ، ودفن الرسول في اليوم التالى لوفاته وفى نفس ذلك اليوم اعلن أبو بكر عودة بعث اسامة الى مكانه بالجرف كما أمر رسول الله ، واستأذن اسامة لبعض معاونيه الذين لا يستطيع الاستغناء عن رأيهم ومؤازرتهم مثل عمر بن الخطاب وبعد ان استعرض الخليفة الجيش

---

(١) الأمم والملوك حـ ٣ .

وزوده بتلك النصيحة [١] الخالدة سار ماشيا فى ركاب اسامة الذى عزم عليه ان يركب أو ينزل هو فيمشيا معا ، ورفض ابو بكر طلب اسامة قائلا ، والله لا ركبت ولا نزلت . وما على ان أغبر قدمى ساعة فى سبيل الله . وبعد أن فصل جيش أسامة ، تواترت الأنباء من أنحاء الجزيرة بتمرد القبائل وارتدادها عن الاسلام ، فدعا أبو بكر كبار المسلمين وعرض عليهم ماوصله من أخبار الأطراف ، وتمرد العرب ، فأشار غالبيتهم بتركهم حتى تهدأ فورتهم وحدها ، فقال بعضهم إنه

---

١) نص النصيحه برواية الطبرى « ياأيها الناس قفوا اوصيكم بعشر فاحفظوها عنى لاتخونوا ولاتغلو ولاتغدروا ولاتمثلوا ولاتقتلوا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولاامرأة ولاتعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحو شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكله وسوف تمرون بأقوام قد فرغو انفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له . وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها الوان الطعام فاذا اكلتم منها شيئا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها وتلقون اقواما قد خصوا اوساط رؤسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقا . اندفعوا باسم الله . اقتلكم الله بالطعن والطاعون (ج ٣ ص ١٣٢)

مادام هؤلاء قد رفضوا دفع الزكاة ، وأقروا بالمبادىء الأخرى فلاداعى لقتالهم ، ولا سيما وزهرة شباب الجيش الاسلامى مع أسامة فى مشارف الشام ، وهم مهددون بالفناء ان لم يقبلوا عرض المرتدين .

بيد ان ابا بكر رفض هذه الآراء وأخذ يناقشهم فى تعاليم الرسول وانه قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله — الحديث .. وان من حق الاسلام الزكاة وان الذى يقول لا اله إلا الله ويفرق بين الصلاة والزكاة هو والذى لا يقولها سواء إذ آمن ببعض وكفر ببعض والاسلام كل لا يتجزأ ، فاما ان تعمل به جملة واما ان ترفضه جملة ولا ثالث لهما

ويمثل هذا المنطق اقنع ابو بكر كبار المسلمين وضمهم الى جانب رأيه واستفاد الجميع بشرح ابى بكر ، وآمنوا بأن الرأى الحازم هو الذى رآه وهو قتال المتمردين والمرتدين حتى يراجعوا الاسلام والطاعة ، او يفتح الله بينهم وبين المتمردين بالحق

ولكن نظرا لان الجيش اكثره خارج المدينة ، فان ابا بكر اتخذ خطه الدفاع مدة تغيب اسامة بالجند ، وقد اغار فى هذه الفترة بعض القبائل على المدينة ولكن الله رد كيدهم الى نحورهم واستطاع ابو بكر بحسن النظام ، ودقة الدفاع واحكامه ان يجلى المغيرين الى ذى القصة ، بل انه التقى بهم فى هذا الموضع وهزمهم هزيمة منكرة وبذلك أبعد الخطر قليلا عن المدينة

غير ان ما حدث كان من امثال عبس وذوبيان القريبتين من المدينة والذين قصدوا السلب والنهب . اما الخطر الحقيقى فكان ماثلا فى الجهات النائية مثل اليمامة التى قام بها مسيلمة ابن حبيب الذى جمع حوله اعداد كثيرة من بنى حنيفة ثم بنى تميم الذين قادتهم سجاح وانضمت الى جيوش مسيلمة واصبحت واياه يدا واحدة ضد المسلمين

كذلك كان هناك قبيلة من بنى اسد وقد سارت وراء طليحة نبيها الدعى . هذا الى جانب اتباع الاسود العنسى باليمن ـ وهؤلاء كثرة هائلة وسبق لهما ان اقتطعت من املاك المسلمين مالا يحصى

وعلى الجملة فان ابا بكر بمهارته وعزيمته استطاع ان يصد خطر المرتدين عن المدينة ، وظل مدافعا قويا حوالى الشهرين وبعض الشهر

وفى جمادى الاول من سنة ١١ هـ قفل جيش اسامة الى المدينة . وقد صاحبه النصر فى حملة الشام . فاستقبله المسلمون وعلى رأسهم الخليفة ابو بكر ثم رأى الخليفة ان يأخذ الجند وقائده قسطا من الراحة . فانابه ابو بكر عنه في المدينة . واذن للجيش بفترة استجمام حوالى الاسبوعين . اعلن بعدها الخليفة التعبئة العامة على الذين اعلنوا العصيان على حكم المدينة فاجتمع عدد عظيم من المتطوعة ولذلك رأى ابو بكر ان يضرب المرتدين فى وقت واحد وفى عقر دارهم . فقسم الجيش الى فرق بلغت احد عشر فرقة . وعين كل فرقة قائدا . وعين له الجهة التى يتوجه اليها . وكتب عهدا من نسخة واحدة لجميع القواد [1] كما اصدر منشورا عاما الى جميع النواحى

---

١) مما جاء فى هذا «هذا عهد من ابى بكر خليفة رسول الله لفلان حين بعثه فيمن بعثه ثم بعد ان يعظ القائد يبين له الطريقة التى يتبعها فى قتال المرتدين فيقول « ان يعتذر اليهم فيدعوهم

التي حدث فيها العصيان [1] وزود القواد بالنصائح الاسلامية في ادب الحرب والقتال .

ومن اشهر القواد الذين اختارهم ابو بكر في قتال المرتدين خالد بن الوليد .

ووجه ابو بكر الى طليحة بن خويلد الاسدى ببزاخة [2] فاذا فرغ منه قصد مالك بن نويرة بالبطاح

= بداعية الاسلام فان اجابوه امسك عنهم . وان لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقروا له . ثم ينبئهم بالذى عليهم والذى لهم فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذى لهم » الخ وهى نصيحة ثمينة راجعها فى الطبرى حـ٣ ص ٢٢٧

١) فى هذا المنشور دعا ابو بكر المرتدين الى مراجعة الطاعة والجماعة ووعظهم بالله وذكرهم بآياته وابان لهم فى صراحة وحزم ان الرسل بشر كسائر البشر . وان الله ارسلهم للاصلاح ، وانهم يموتون كما يموت الناس جميعا وأن الله الحى القيوم هو وحده الباقى . ثم قال لهم . انى بعثت اليكم فلانا فى جيش من المهاجرين والانصار التابعين باحسان وأمرت ان لا يقاتل احدا ولا يقتله حتى يدعوه الى داعية الله فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحا قبل منه واعانه عليه . ومن أبى امرت ان يقاتله على ذلك الطبرى حـ٣ ص ٢٢٦

٢) بزاخة ماء بالقرب من نجد

ومنهم عكرمة بن ابى جهل . وكان أمير الفرقة التى سارت الى مسيلمة باليمامة وأرسل قائد فرقة أخرى فى اثر عكرمة وهو شرحبيل بن حسنة

كذلك كان من قواد ابى بكر المهاجر بن أبى أمية وسار الى الاسود العنسى لمعاونة الابناء باليمن

ومن القواد العظام ايضا حذيفة بن محصن الذى ذهب الى عمان . وعرفجة بن هرثمة الذى أمر باخضاع مهمة اليمن على ان يجتمع مع عرفجة اذا انتهى أحدهما من مهمته قبل الآخر . والعلاء بن الحضرمى الذى توجه الى البحرين . وطريفة بن حاجز وميدانه بنوسليم وهوازن . وعمرو بن العاص وفرقته الى قضاعة . وخالد بن سعيد . وميدان حربه مشارف الشام .

وسار هؤلاء القواد بفرقهم الى الجهات التى عينها الخليفة وحدثت بينهم وبين المرتدين مواقع كان النصر فى نهايتها للجيوش الاسلامية وقد ظلت الحروب بين المرتدين

حوالى عام كامل . صبر فيه المسلمون وأبلوا أعظم البلاء ، ونالوا النصر فى النهاية

على ان نتائج هـذه الحروب لم تقتصر على اخضاع الاعراب المتمردين وتوحيد شبه الجزيرة تحت حكم المدينة بل انها كانت لها آثار عظيمة فى توسيع رقعة الدولة الاسلامية ونشر حضارة الاسلام خارج جزيرة العرب

ذلك ان بعض الفيالق التى قاتلت فى الشمال والشمال الشرقى وقع احتكاك بينها وبين الفرس على حدود العراق ، وبينها وبين الروم على الاراضى الشامية التى كانت تدين بالولاء للروم الشرقيين

نتائج حروب الردة

واذا كان هذا التصادم بين المسلمين وبين دولتى الفرس والروم قد ادى فى النهاية الى انهزام الدولتين الكبيرتين بل الى انهيار احداهما نهائيا . فان مما لاريب فيه ان نصر الدولة الاسلامية عليها قد أدى من ناحية اخرى الى انتشار المبادىء المحمدية والحضارة الاسلامية خارج شبه الجزيرة . مما جعل الفرس الوثنيين والروم المسيحيين يفكرون جديا

فى الدين الجديد ، ويحسبون حسابا لاتباعه بعد ان سخروا بالامس القريب من رسل النبي حيث مزق كسري كتاب رسول الله لا لسبب سوى انه دعاه الى الله وشهادة الحق ، استكبارا فى الارض ، وعلوا فسادا

ولنا عودة الى الحديث عن الفرس والروم عند الكلام على الفتوحات الاسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين

* * *

الفتوح الاسلامية فى عصر الراشدين

سرعة انتصار المسلمين ـ حال الفرس والروم ـ حروب أبى بكر ـ حروب عمر ـ حروب عثمان ـ نتائج هذه الحروب .

. . .

انتصار المسلمين اسبابه

ابنا فيما سبق كيف قضى ابو بكر على المرتدين ، واشرنا الى ان جيوشه ما كادت تنتهى من حربهم حتى وجدت نفسها مرغمة على الاشتباك بدولتى الفرس والروم نتيجة وصول جنود الاسلام الى حدود الدولتين

ونريد ان نوضح فى هذا الفصل ما حدث من حروب

بين المسلمين وجيرانهم فى الشمالين الشرقى والغربى لشبه الجزيرة العربية

بيد اننا قبل الدخول فى وصف الحروب ، نرى ان نوجز كلمة عن اهم الاسباب التى جعلت النصر من نصيب المسلمين ، ثم عن حال الفرس والروم لنستطيع ان نقدر نصر الاسلام على وجهه التاريخى

(١) واولى تلك الاسباب يجب البحث عنه فى هزيمة القبائل العربية فى حركة الردة اذ ان هذه القبائل لم يكن من المنتظر لها ان تواصل خضوعها للخلافة ، وقد هزمت امام جيوشها . لذلك رأى الخليفة ان يستغل ذلك الميل الفطرى فى العرب الى المقاتلة فى ناحية الفتح والتوسع ، ونشر الاسلام خارج شبه الجزيرة

ولقد برهن العرب فى هذه الحروب على شجاعتهم التى يضرب بها المثل فدوخوا جيوش الدولتين المتفوقتين عليهم فى العدد والسلاح

(٢) على انه كان الى جانب ذلك ما لحق المرتدين من

الندم والحسرة على ما فرط منهم حين ارتدادهم بعد اسلامهم فارادوا أن يكفروا عن خطأهم فى حق الله ورسوله بالاستشهاد فى القتال فى سبيل الله . ولهذا كان الموت احب اليهم من الحياة ومن احب الموت وهبت له الحياة

(٣) وهناك سبب يتعلق بالعرب انفسهم . فقد كان هؤلاء محبوسين فى عقر جزيرتهم قانعين بصحرائها ومفاوزها وارضها الجرداء الا ما شذ فى اليمن وأمثالها .

وكان شغل القبائل العربية مقصورا على الحروب القبلية لاتفه الاسباب ، ومما زادهم ضيقا على ضيقهم . وحفر كثيرا منهم لان يئد ولده خشية الفقر والمتربة

فلما جاء الاسلام ، وكرر الوعد لمن يسلم بالغنى والسيادة ، وحدّ الجبهة العربية وجمع شملها . ثم وجه أبو بكر هذه القوى الكامنة فى القبائل الى ما يعود عليهم بالغنى الوفير ، والسيادة المطلقة ، ولذلك استماتت العرب فى الحروب الفارسية والرومانية . ولمسوا نتيجة النصر ، فقويت روحهم المعنوية وقهروا عدوهم بسهولة لا تتصور

(٤) على ان دعوة الاسلام التى قامت على توحيد الله واسناد كل الامور اليه وحده ووضوح هذه الدعوة . كان مما فتّ فى عضد الوثنية التى دان بها الفرس والرومان حتى في العصر المسيحي . وبذلك كانت مبادىء الاسلام سريعة الوصول الى قلوب الامم المجاورة

وهذا الى جانب كفالة الاسلام للعدالة المطلقة لسائر الشعوب التى انتصر عليها . مما جعل رعايا الفرس والروم يتهافتون على الانضواء تحت راية الخلافة الاسلامية .وذلك بطبيعة الحال بفضل اولئك الرجال الافاضل الذين وجهوا تلك الحروب ، ونشر هذه المبادىء ، وكانوا هم اول العاملين بها المستمسكين بنصوصها وروحها

وإذا كانت مبادىء الاسلام، وندم المرتدين على مافرط منهم من اهم الاسباب فى سرعة المسلمين فى فتح البلاد ، وتوسعهم فى ضم الاقاليم ، فان من عوامل انتصارهم السريع ما كانت عليه الدولتان الفارسية والرومانية من تفكك وانحلال نتيجة الحروب الاهلية والخارجية

فهـذه دولة الروم ـ وهى مجاورة فى الشمال والغرب لدوله الاسلام ـ اناخ عليها الضعف والهزال منذ أوائل القرن السابع الميلادى ، اذ مضى عهد جستنيان وفتوحه وتنظيماته على ان خطر الاضمحلال كان ماثلا حتى فى ايام جستنيان فقد توالت النوائل على الدولة حتى خشى عليها . فمن فساد خلق الى آخر سياسى ، وزادت عليها نكبات طبيعيـة اذ اجتاح الوباء اقاليم الدولة من الشرق ، فكانت الدولة عندذلك كأنها ساثرة الى الدمار لاينجيها منه شىء ، فكان حكم فوكاس حكما ظالما قائما على جيش فاسـد ، تسنده عصبة فاسـدة من الاشرار

ولذلك ثار هرقل على فوكاس واستطاع بمؤامرة محكمة ان ينزله من عرش الامبراطورية ، وان يوبخه ويعدمه ويمثل به

ولـكن فى الوقت الذى البس فيـه هرقـل تاج الامبراطورية . كانت دعوة الاسلام قد اوشكت على البزوغ وبدت بوادر الانقلاب فى افق السياسة الدولية

وحوالى سنة ٦٢٩ م سار هرقل يقصد الحج الى بيت المقدس فى أول الربيع وأراد عند ذلك أن يعيد الصليب الى محله ، وقد كان استلبه الفرس حينما غلبوا الروم منذ سنتى ٦١٤ ، ٦١٥ م . وقد استرده هرقل الآن أى حوالى سنة ٦٤٧ (٦ هـ) وفى هذا التاريخ أرسل الرسول كتبه ورسله لملوك العالم يدعوهم الى اعتناق الاسلام ومبادئه ولم يكن ذلك كل ما أحاط بالدولة الرومانية ـ فى ذلك الوقت ـ بل أن غارات المتبربرين من الشمال والشرق، وتفاقم الخلافات المذهبية المسيحية فى طبيعة المسيح، وسوء الادارة الرومانية . كل ذلك ساهم فى انحلال الرولة الرومانية فوق تقسيمها الى شقين ، وانهيار القسم الغربى منها الذى مركزه « روما »

أما الفرس فلم تكن دولتهم أسعد حالا من الدولة الرومانية . بل أن عوامل الانحلال قد أخذت تنخر فى كيانها ، وتعجل بزوالها فقد خرج الثائر الغاصب بهرام على كسرى حفيد أنو شروان ، بعد ولايته بأيام قلائل وطرده

من بلاده ، فلقيه الامبراطور موريق مرحبا به حتى ليقال أن كسرى تزوج ابنة الامبراطور الرومانى موريق

على أن المهم فى هذا أن حفيد أنوشروان العظيم ، وعدو الامبراطور الرومانى قد أستنجد الان بدولة معادية لدولته . وبجيوشها استرد عرشه المغتصب فى دولة الفرس ، واتخذ مستشاريه من الروم

ومع ذلك فان العداء التقليدى بين الفرس والروم ظفر من جديد وعادت الحرب بين كسرى أنوشروان وبين الروم ، وفى الجزيرة التى كانت ميدان النضال العنيف انتصر الفرس ، وضموا إلى أملاكهم بلاد الشام وفلسطين ومصر وأهدى كسرى الصليب الى زوجته المسيحية وظل الحكم الفارسى يظل تلك الجهات من سنة ٦١٥ إلى سنة ٦٢٧م أي مايقرب من أثنى عشر سنة

كانت عاصمة الفرس حتى أواخر حياة النبي « المدائن » على شطى الدجلة الشرقى والغربى . وقد بنيت هذه المدينة منذ ملك أردشير بن بابك ، ثم غلب ملوك الطوائف

واستبد بالامر دونهم ، فوحد كلمة الفرس وأدخل فى ملكه العراق وما جاوره من بلاد العرب ، وكان يلقب شاهنشاه أى ملك الملوك .

ولقد ظلت المدائن عاصمة الدولة حتى ولاية كسرى أنو شروان المتقدم ذكره .

ثم جاء بعد كسرى هرمز ، ثم كسرى ابرويز وهو الذى أرسل اليه الرسول كتابه فمزقه ، ودعا عليه الرسول واستجاب الله دعوة نبيه . إذ قام عليه ابنه شيرويه فقتله واستلب ملكه ، ثم مات هذا وتولى العرش ابنه اردشير وهو طفل صغير ، فقام بعض القوادوقتل الامبراطور الطفل وتولى الملك من بعده .

ولكن هذا الامبراطور المغتصب لم يهنأ بالعرش طويلا . اذ اجتمع أمراء البيت المالك وأجمعوا أمرهم على قتله فقتل لاربعين يوما من تملكه ، وبعدها تولى عرش الفرس اباطرة ضعاف بسبب اختلافهم وتفرقهم ، وهكذا حتى كان آخرهم يزدجر بن شهريار الذى زالت فى ايامه الدولة الفارسية

واضيفت إلى الخلافة الاسلامية فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

حروب ابى بكر الخارجية

قبل أن نتحدث عن حروب ابى بكر مع الفرس والروح نرى ان نوجز كلمة عن الرجل حتى نستجلى صورة عن القائد الاعلى لجيوش الاسلام الظافرة

من هو أبى بكر :

ولد أبو بكر لسنتين من عام الفيل ، وأبوه أبو قحافة من بنى تيم بن مرة بن كعب ابن لؤى من قريش ، وأمه أم الخير بنت صخر بن عامر من بنى تيم بن مرة من قريش كذلك فهو قرشى أبا وأما .

شب أبو بكر على الاخلاق الفاضلة ، وكان ذا يسار يشتغل بالتجارة وينفق ماله فى مساعدة الفقراء والمعوزين وكان محترما لدى قريش كلها لكرمه وشجاعته ، وغناه وشرف نفسه ، وحسبه فيهم وكان مصافيا للرسول قبل

النبوة ، فلما شرف الله محمدا بالرسالة سارع الى الايمان به فكان أول رجل آمن بالله ورسوله ، ولم تسكن له كبوة فى إسلامه وقد سماه الرسول « الصديق » .

تزوج أبو بكر فى الجاهلية قتيلة من بنى عامر من قريش وتزوج أم رومان من بنى غنم بن مالك بن كنانه، وقد ولدت له الاولى أسماء زوجة الزبير وعبد الله ، وانجبت له الثانية عبد الرحمن ، وعائشة أم المؤمنين وتزوج في الاسلام أسماء بنت عميس أرملة جعفر بن أبى طالب فولدت له محمدا الذى تربى فى حجر على بن ابى طالب .

كذلك تزوج فى الاسلام حبيبة بنت خارجة فولدت له أم كلثوم أما عن أخلاقه . فقد كانت آية فى العظمة والجلال وكفى من ذلك لقب الصديق الذى عرف به منذ أسلم حتى لقى الله بيد أن من أبرز صفات الصديق مضاء العزيمة، وقوة الارادة وخصوصا فيما يعتقد أنه الحق ، وقد ظهرت هذه الخصائص فى حروب الردة التى شملت شبه جزيرة العرب عدا الحجاز ، فقضى عليها أبو بكر بعزمة لاتلين ، ووحد

جزيرة العرب كعهدها منذ أواخر عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومنشأ الحروب مع الفرس والروم فى خلافة أبى بكر فى الواقع ـ احتكاك المسلمين بجيرانهم بسبب حركة الردة

ففى سنة ١١ هـ وبينما العلاء بن الحضرمى قائد لواء البحرين ، يشتغل باخضاع المرتدين في تلك الناحية ، انضم الى الحبشة قائد عظيم من سادة العرب وهو المثنى بن حارثه فساهم فى تعجيل نصر العلاء على أهل البحرين .

ولما تم للمسلمين النصر فى البحرين ،زحف المثنى بفرقته البالغة ثمانية آلاف جندى ، صوب الشمال حتى وصل الى نهر الفرات ، فارسل اليه أبو بكر كتاب تشجيع بان يواصل زحفه والتقى المثنى بالقبائل القاطنة مصبات الفرات وكانت تفوق جيشه فى العدد والعدة . لذلك اتبع خطة الدفاع عن مراكزه وأخطر المدينة بامره طالبا المدد من الخليفة .فارسل أبو بكر الى خالد بن الوليد الذى كان قريبا منه ، أن يسير الى المثنى لنجدته ، فسار خالد وضم جيشه الى جيش المثنى ، وقسم

الجيش الى فرق . تولى هو احداها والمثنى على فرقة أخرى وعياض بن غنم على الفرقة الثالثة .

وقد رابط خالد على مصب الفرات ؛ وأرسل عياض ابن غنم الى خلدة لفتحها وبعث المثنى الى بلدة الابلة على مصب الفرات لفتحها وضمها الى الدولة الاسلامية . وقد حاصر عياض دومة الجندل مدة .

وفى المحرم من سنة ١٢ هـ (٦٣٣ م) وصل الى خالد بن الوليد خطاب تعيينه قائدا عاما على الجبهة الفارسية . فسار الى بلدة الحمير الواقعة على الحدود بين بلاد العرب وأملاك الفرس وكان معه عشرة آلاف جندى ، فضم اليه جند المثنى وقسمها الى ثلاث فرق . جعل على أحداها عدى بن حاتم ، وعلى أخرى المثنى المتقدم . ثم كتب الى هرمز عامل الفرس على كلدة والفرات كتابا يطلب منه الدخول فى الاسلام ، أودفع الجزية عن يد وهو صاغر فاتصل هرمز بملك الفرس وأخبره بكتاب خالد ، وأخذ في الوقت نفسه يتجهز للقتال والدفاع عن بلاده ، فاعجله خالد على القتال ، وبدأ بالمبارزة ، فصرع

خالد هرمز قائد الجيش ، وبذلك وقعت الهزيمة على الفرس ، ففروا من وجه المسلمين ، ومن بقي من أهل البلاد خضعوا للمسلمين وقبلوا حمايتهم ودفع الجزية التي فرضها عليهم المسلمون .

أما الحيرة فلم تلبث عقب مناوشة طفيفة ان أذعنت بالتسليم ، وحذا حذوها دهاقين كلدة ، فابقاهم الخليفة على أراضيهم مشترطا عليهم دفع الجزية كما أقر الفلاحين على حالهم .

غير أن استيلاء المسلمين على الحيرة أدى بحكومة الفرس أن تدرك الخطر المحدق بها ، فحشدت جيشا جرارا وأنفذته لاجلاء المسلمين عن كلدة والجزيرة ، وفي هذه الاثناء أرسل الخليفة خالد بن الوليد على رأس قوة كبيرة الى الشام كما أرسل المثنى الذي لم يلبث ان سحب مراكزه الامامية وعاد مسرعا الى المدينة ليحادث الخليفة في أمر تعزيز قوته ، فوجده على فراش الموت والى هنا وصل بنا المطاف الى جمادى الاخرة من سنة ١٣ هـ وفي ذلك التاريخ توفي أبو بكر الخليفة

الاول لرسول الله ، واستخلف بعده عمر بن الخطاب الذى لقب بامير المؤمنين لاول مرة فى الدولة الاسلامية .

وقبل أن تغادر هذا الميدان من الجبهة الفارسية ، نرى أن نقول كلمة انصاف لسلك خالد بن الوليد القائد العام لجيوشها .

وقد كان خالد من الرجال الممتازين بين العرب ، فقد استطاع ان يخمد حركة الردة فى أكثر من ميدان ، واخضع معظم أقليم العراق ، والجزيرة وما جاورها فى بضعة عشر شهرا فقط . كما أن سياسته نحو البلاد المفتوحة ، وما أتبعه من عدل وانصاف مكن للمسلمين فى هذه الجهات وهاهو ذا كتاب عهده لاهل الحيرة :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد ، عديا وعمرا ابنى عدى ، وعمرو بن عبدالمسيح وأياس ابن قبيصة ، وهم نقباء أهل الحيرة ورضى بذلك أهل الحيرة وأمروهم به وعاهدوهم على مائه وتسعين الف درهم (١٩٠ درهم) تقبل فى كل سنة جزاء عن أيديهم فى الدنيا رهبانهم وقسيسيهم

إلا من كان منهم على غير ذى يد حبيسا عن الدنيا تاركا لها وعلى المنعة ، وإن لم يمنعهم فلا شيء عليهم حتى يمنعهم . وإن غدروا بفعل أو قول فالذمة منهم بريئة ، وكتب في شهر ربيع الاخر من سنة ١٢ هـ كذلك لم يمتنع خالد أن يعطي عهدا لبعض القرى حينما طلب أهلها ذلك مثل بانيقيا ، وباروسما ، وكذلك مع كل من طلب ذلك من دهاقين البلاد .

وأن مما يستحق الذكر ان خالدا بعد استولى على الاجزاء السابقة من بلاد الفرس ، وضبطها وولى عليها الامراء والجباة وأبقى بها مسالح لحمايتها أرسل الى ملك الفرس كتابا ، وإلى المرازبة آخر . وقال فى الاول :

من خالد بن الوليد الى ملوك فارس . أما بعد . فالحمد لله الذي حل نظامكم ووهن كيدكم وفرق كلمتكم ، ولولم يفعل ذلك بكم لكان شرا لكم . فادخلوا في أمرنا ندعكم في أرضكم ، ونجوزكم إلى غيركم ، وإلا كان ذلك وأنتم كارهون على أيدى قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة .

وقال فى كتاب المرازبة : بسم الله الرحمن الرحيم .

من خالد بن الوليد الى مرازبة فارس أما بعد. فاسلموا تسلموا وإلا فاعتقدوا مني الذمة وأدوا الجزية والا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر .

وعلى الجملة . فان الحرب فى هذه الجبهة لم تكن بالسهولة التى قد تتصور فان الفرس من الامم القديمة ذات الحضارة والقوة ، وكانت تدافع عن تقاليدها بحرارة . بيد أن خالد كان متفوقا بالمهارة والقوة الحربية مما عوضه عن الكثرة والاسلحة ، واستطاع بذلك أن يهزم الفرس منذ الجولة الاولى وأن يكسب الجولات التالية .

وبهذا فتح المسلمون كلدة والحيرة واستولوا على بانقيا وباروسما وأليس ، وأوقعوا بالفرس على نهر الثنى تلك الموقعة التى غنم منها جيش خالد مغانم كثيرة

كذلك أنتصر المسلمون فى معركة الوجة[1] ، وأليس[2] وفرات بادقلى على مصبات الفرات ، والانبار وعين التمر ودومة

---

(١) الوجه تلى كسكر من البر (٢) بلدة على نهر الفرات

الجندل وكلها مواضع بالعراق.

كذلك استطاع هذا القائد العبقرى أن يركز فتوح الاسلام فى دلتا الفرات ، وأن يعلى كلمته فى تلك الجهات التى دانت لاتباع زرادشت قرونا من الزمن.

وفى ٢٥ من ذى القعدة سنة ١٢ هـ اختلس خالد هدأة النضال قليلا وانسل إلى الحجاز حاجا شاكرا أنعم الله على ذلك النصر الذى توج به هامة الاسلام فى أرض كسرى ، وموطن المجوس ، فأدى نسكه وعاد وكأن لم يغادر ميدان القتال ، حتى أن الخليفة نفسه لم يعلم على التحقيق خبر حجه إلا بعد برهة حيث عتب عليه فى ذلك .

وأما ماينسب الى ذلك القائد من قتله لمالك بن نويرة وتزوجه من زوجته فان الخطب لعمرى جد يسير . وجلية المسألة كما حققها ابن الاثير فى تاريخه أن خالدا بعد أن انتهى من طليحة بزاخة توجه نحو البطاح موطن بنى يربوع ، وسيدهم مالك بن نويرة الذى كان قد تبع المرتدين وشايع سجاحا ووادعها . ثم ندم وراجع الاسلام ، وغشيتهم خيل خالد

وهم على تلك الحال ولم يعلم بهم خالد . لذلك عندما رآه بنو يربوع تفرقوا فى شعاب واديهم وخشوا صولة خالد ، ولان خالدا لم يعلم بتوبتهم ، أمر بان يحبسوا حتى يرى فيهم رأيه ، ثم أن الجو كان باردا شديد الرطوبة فنادى منادي خالد بان يدفىء المسلمون أسراهم . وكانت عبارة أدفاء الاسرى بلغة كنانة يراد منها القتل ، بخلاف لغة قريش التى تفسر الدفء بمعناه المعروف وهو إشعال النار لازالة البرد ، وذلك ما قصد اليه خالد بيد أن اليربوعيين ومنهم مالك — لسوء حظهم — كان الحراس عليهم من كنانة فما أن سمعوا نداء خالد حتى أسرعوا بقتل أسراهم فلما بلغت خالدا أنباء الاسرى وفيهم مالك غضب وتألم ثم أراد أن يواسى زوجة مالك فتزوجها وضمها إلى كنفه

بيد أنه حدث بعد أن قتل مالك ومن معه أن كان أبو قتادة — وهو من صحابة الرسول الأولين — حاضرا فاحتج على خالد واتهمه بالغدر فغضب منه خالد ، وانتهره فذهب أبو قتادة مغاضبا حتى أتى المدينة والتقى بالخليفة وعمر ابن الخطاب وقص عليهما قصة خالد مع الأسرى وكيف

قتل هؤلاء بعد أن شهدوا شهادة الحق ، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فقال عمر لأبي بكر: إن سيف خالد فيه رهق وأكثر عليه فى ذلك ، فقال أبو بكر هبه يا عمر . تأول فاخطأ فارفع لسانك عن خالد ، فاني لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين ، وودى أبو بكر مالكا وكتب إلى خالد أن يقدم عليه ففعل ودخل المسجد وعليه قباء وقد غرز فى عمامته أسهما . فقام إليه عمر فنزعها وحطمها وقال له : أرئاء قتلت أمرءا مسلما ثم نزوت على امرأته والله لارجمنك باحجارك ، وخالد لا يكلمه . يظن أن رأى أبي بكر مثله ، ودخل على أبى بكر فأخبره الخبر واعتذر إليه فعذره وتجاوز عنه وعنفه فى التزويج للذى كانت عليه العرب من كراهته أيام الحرب . فخرج خالد وعمر جالس فقال : هلم إلى يا ابن أم سلمة ، فعرف عمر أن أبا بكر قد رضى عنه فلم يكلمه[1] .

هذه هى القصة كما تبين من رواية ابن الأثير ، وهى

---

(١) انظر ابن الأثير حـ ٢ ص ٢٤٢ — ٢٤٣ .

المعقولة فى نظرنا . أما حملة عمر على خالد ، فلعلها نشأت عن الاذاعات التى وصلت إلى المدينة ، والتى لم يقصد بها أصحابها مجرد الحق ، بل كانت مشوبة بالانفعال وعدم التثبت من الحقيقة . على أن من الحق أن نصرح لكم بأن خالداً لم يكن موفقا حين حبس بنى يربوع وقد راجعوا الاسلام ، وإن اختلفت أقوال ثقاته فى إظهار اليربوعيين لشعائر الدين إذ يكفى أن يشهد مثل أبى قتادة بأذانهم وصلاتهم حتى يخلى سبيلهم ، ثم بعد حبس القوم لاستجلاء حقيقتهم لم يكن ينبغى أن يكون إعلان إكرام الأسرى والمسجونين بعبارات غامضة يتأولها الناس كما يشتهون مما سبب أراقة دماء هؤلاء القوم .

وأخيرا فان مما يزيد السخط على خالد من مثل عمر أن يخرج خالد على تقليد عربى مجمع عليه وهو أن لا يتزوج الجندى أو القائد فى ميدان القتال ، وقد خالف خالد هذه العادة العربية وتزوج فى ميدان الحرب ، وليته تزوج من

غير من قتل أزواجهم خطأ . بل عمد إلى امرأة سيد القتلى خطأ وتزوجها فزاد النار استعارا .

ولذلك ظل عمر يفرك القتاد على عمل خالد طوال عهد أبي بكر ، فما واتته الفرصة بعد توليته حتى سارع بعزل خالد من قيادة الجند وولاها أبا عبيدة عامر بن الجراح

ومهما يكن من شيء فان ذلك لا يقدح في كفاية خالد العسكرية ، ولا في عبقريته كقائد مجرب ، وإن نال من بعيد من ورع الرجل ، ووقاره كما ظن عمر .

ومما سبق نرى أن أهم الفتوحات التي كسبها المسلمون في الميدان الفارسي أو الجبهة الشرقية إنما كانت بسبب المنهج الحربي الدقيق الذي وضعه خالد بن الوليد وهو القائد العام لتلك الجبهة ، ثم لبراعة ضباط الفيالق الذين عملوا تحت إمرة خالد مثل المثنى بن حارثة ، وعياض بن غنم وغيرهما .

أما حروب المسلمين مع الروم في خلافة أبي بكر ، أو الميدان الغربي الذي انتصر فيه الخليفة وضم إلى دولته أجناد الشام وفلسطين ووصلت حدودا لدولة إلى التلزم على

حدود مصر. فان أهم قواده فى هذا الميدان هم عمرو بن العاص وأبو عبيدة بن الجراح ، ويزيد بن أبى سفيان ، وشرحبيل ابن حسنة ، ثم معاوية بن أبى سفيان ويقود فرقة الأمداد .

وأول اشتباك للمسلمين مع الروم كان على أثر الحملة التأديبية التى قادها أسامة بن زيد إلى بادية الشام ، فأثارت هذه الحملة حفيظة القبائل الضاربة فى هذه النواحى وقام هؤلاء الاعراب يثأرون لاخوانهم الذين تربطهم بهم أوشاج الدم والقرابة .

وكانت البلاد الواقعة غربى الجزيرة وكلدة خاضعة يومئذ للدولة الرومانية الشرقية ، وكان للرومان فى تلك البلاد معاقل حصينة تحرسها حاميات قوية كقيصرية على على البحر ، وأريحا ، والقدس وعسقلان وغزة ويافا ، وعكا وصور. كذلك كان يقع فى شمالى فلسطين ، سوريا أو برالشام التى من أهم مدنها دمشق وحمص وحلب وأنطاكية ، وكانت تحرسها كلها حاميات رومانية مجهزة بأحدث الأسلحة إذ ذاك

وفى ذلك الميدان منى المسلمون بهزيمة فادحة فى أول

حملة أرسلها أبو بكر بقيادة خالد بن سعيد الذى لم يكن من المهارة بحيث يرتاح الخليفة إلى خططه وتصرفاته العسكرية ولذلك لم يلبث أن عزله ، ولم يعدل عن فتح الشام بل أخذ يتجهز جادا فى لقاء الروم بهذه الجهات . فجمع أبو بكر جيشاً بلغت عدته ٣٥٠٠٠ خمسة وثلاثين ألف مقاتل ولى عليهم أربعة قواد ، ووجههم إلى بلاد عينها لهم .

فهذا أبو عبيدة يقود فرقة ، ويتوجه إلى حمص ، ومقره الجابية . وأسند إلى عمرو بن العاص قيادة فيلق فلسطين وهدفه فتح هذه الناحية .

وأمر يزيد بن أبى سفيان على جيش دمشق ، كما عقد لشرحبيل على جيش الأردن واتبع هذه الجيوش الأربع بعدد من الجنود كاحتياطى للجيش العامل ، وأسند رئاسته إلى معاوية بن سفيان .

زحف عمرو بن العاص على فلسطين السفلى مهددا غزة وبيت المقدس ، بينما أخذت الجيوش الثلاثة الأخرى

تناوىء بصرى [١] ودمشق وطبرية . بيدان بجموع جيش المسلمين بداقلة لا يمكنه الصمود لجيش الروم الذى بلغت عدته حوالى ٢٤٠٠٠٠ جندى مجهزين بالسلاح والذخيرة ، وقد كان من السهل على هرقل إمبراطور الدولة الرومانية أن يجمع هذا العدد . إذ كان يدين لحكمه عدا أسيا الصغرى الشام وفينيقيا وفلسطين ومصر وأفريقية .

ولذلك لما علم بزحف العرب أسرع إلى حمص وحشد فيها أربع فرق كبرى . أما القواد المسلمون فلم يلبثوا هم أيضا أن حشدوا قواتهم فى صعيد واحد فى « جولان » بالقرب من نهر اليرموك الذى ينبع من جبال حوران ، ويصب في نهر الأردن على بضعة أميال من بحيرة طبرية ، ثم يستدير على بعد ثلاثين ميلا من التقائه بنهر الأردن ليكون شبه دائرة تحتضن سهلا فسيحا منبسطا يصلح لأن يكون معسكراً لجيش كبير . كذلك بالنهر انحناء يؤدى إلى

---

(١) هى « اسكى شام » الحالية . وبصرى تاريخ بسبب مرور النبى عليها ومقابلته لبحيري الراهب .

فضاء مسطح يسمى « الواقوصة » .

ولقد رأى الروم فى ذلك الموقع المتقدم معسكرا طبيعيا محصنا فحشدوا جيوشهم فيه دون أن يحسبوا حسابا للمسلمين الذين ماكادوا يشعرون بخطأ عدوهم حتى عبروا النهر وعسكروا بجانب الوادى الضيق الذى يقع على استدارته ، وأخذ الجيشان يتراقبان حوالى الشهرين حتى مل الخليفة الانتظار فأرسل خالد بن الوليد الذى كان فى كلدة بالميدان الشرقى ، فأسرع خالد إلى الشام : ومعه حوالى خمسة آلاف انضمت إلى الجيوش الاسلامية فى هذه النواحى فبلغ جيش المسلمين حوالى ٤٠٠٠٠ أربعين ألف جندى : وفى صباح آخر يوم من جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ (٦٣٤ م) وقعت المعركة الفاصلة بين الفريقين . فحمل العرب على أعدائهم حملة صادقة وظلوا يوقعون بهم حتى أفنوا البعض وأغرقوا البعض الآخر فى النهر . وبهذا تم النصر للمسلمين وفتحوا جنوبى الشام ، وهذه الموقعة تسمى موقعة « اليرموك » .

وهنا حدثت وفاة أبى بكر . الذى يقال أن خبر الوفاة

وصلت إلى قائد المعسكر قبل إنشاب القتال فكتمه حتى كسب المعركة ، ثم أذاعه ، وكان القائد حتى هذه اللحظة خالد بن الوليد ، وسبب كتمان الوفاة أن الرسول الذى جاء بالخبر كان يحمل معه خطاب عزل من القيادة العامة لخالد ، وإسناد إمارة الجيش إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح وكان من المصلحة فى رأى خالد أن يظل هو ينفذ الخطة الحربية التي وضعها لهذه المعركة ، ثم يسلم الأمر إلى القائد الجديد ولذلك نرى أنه بمجرد أن تنتهى المعركة يسرع خالد إلى أبي عبيدة ويسلمه جواب القيادة ، ويندمج هو فى الجيش كفرد عادى .

ويتولى أبي عبيدة قيادة الميدان الغربي نكون قد ودعنا عهد أبي بكر وأصبحنا فى خلافة عمر الذى ازدهرت الفتوحات في عهده كما سنرى بعده .

« تذييل »

حول المؤامرة الفارسية

إرتقى عثمان الخلافة بذلك الشكل الطريف الذي أشار به عمر حينما ألحوا عليه فى تعيين خليفة على الناس . أن كان لا يرى أن يستخلف : فان رسول الله لم يستخلف ، وما كان عمر بالذى يعدل فى الناس برسول الله أحداً .

لذلك رأيناه عند ما طعن « رضى الله عنه » بالمسجد الجامع بالمدينة يأمر بعض [1] خاصته من المسلمين أن ينظر من قتله حتى إذا عرف أن الذى [2] تولى ذلك من « علوج » فارس يحمد الله أن لم يجعل منيته على يد واحد من المسلمين يحاجه يوم القيامة ، ثم يطلب منه أن يستخلف على الناس فيجيبهم بأنه « إن لا يستخلف فان رسول الله لم يستخلف وهو خير الناس ، وإن يستخلف فقد عهد إليه من قبل من هو خير منه ـ فى رأيه ـ وهو أبو بكر رضى الله عنه .

---

(١) عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما .
(٢) غلام المغيرة بن شعبة المجوسى .

ثم كثر عليه الطلب فى تعيين خليفة من بعده ، وإنه لو كان الانسان راعيا لقطيع من الابل أو من الغنم ، ماحل له أن يدعها بدون راع [١] وكأنما عمر كان يتنازعه عاملان مختلفان فانه ليرى فى رسول الله خير أسوة ، ومع ذلك لم يعين خليفة على الناس ، وبين يديه أبو بكر حب رسول الله ، وأفضل الناس من بعده ، وقد سلف أن عهد إليه ولكن بعد أن استشار الناس ، واطمأن إلى رضاهم لعمر الى أنها حيرة لا مخرج منها إلا بحسن توفيق من الله : رسول الله لم يستخلف . هذا حق .

ولكن . . ألا يكون ذلك لأنه رسول الله ، ولا ينطق عن الهوى ، فلو أنه عين شخصا أو جماعة لكانت لهؤلاء دولة ، ولترك لذلك الأفضل من الناس ، ولقالوا إن هذا عينه رسول الله ، والذى يخالفه يعصى الله ورسوله .

ثم شكل الخلافة ، أهو وحى من الله . يجب على الناس

---

(١) تيسير الوصول لابن الربيع ـ بتصرف حـ ٢ ص ٤٩ .

أن لا يعدوا ما يرسمه الرسول . لو كان . . . أم هو من شئون الدنيا ، وخصائص الأيام ـ فلكل مقام مقال ، ولكل زمان دولة ورجال ـ فقد تكون طريقة أبي بكر وعمر خيرا للناس في الوقت الذى كان فيه أبو بكر وعمر ، وقد يبتدع الناس طرائق من الاستخلاف ربما كان فيه خير للناس ، وبقيا المسلمين ، وقد يبدعون فيها عن أبي بكر وعمر حسبما يرونه من المصلحة العامة للاسلام والمسلمين .

ثم أبو بكر ـ وهو من نعرف في تقواه وورعه ، وعقيدته ودينه أيخالف رسول الله في أمر يكون العصيان في فعله ، والخير في تركه . هذا ما لن يكون من رجل كأبي بكر يعرفه عمر ويطمئن إلى أنه لن يتعمد مخالفة رسول الله بحال ما ، بل يعرفه أكثر من ذلك منذ قبض رسول الله ، وذهل عمر وثبت أبو بكر . فثبت الناس ورجعوا إلى الحق ، وإلى قول أبي بكر .

ثم منذ حركة الارتداد العربية إثر موت رسول الله وقد كان الناس جميعا في جانب وأبو بكر في جانب ، وفي

وفى النهاية رجع الناس إلى رأى أبى بكر فكان هو عين اليقين ، ودعامة الحق الذى مكن للمسلمين فيما بعد فى الأرض .

ما نظن ذلك كله إلا وقد فكر فيه عمر ، وقلبه من جميع وجوهه ، وشتى مناحيه ، ثم برز ذلك أخيرا فى عهده إلى أولئك الستة الذين قال رسول الله أنهم من أهل الجنة ، والذين قبض رسول الله وهو عنهم راض [1] فانهم حتى مقتل عمر لم يبدلوا تبديلا .

وأخيرا انتخب عثمان من هؤلاء الستة ، وبعد أن أخذ عليه أن يعمل بكتاب الله ، وسنة رسوله ، وسنة الشيخين من قبله [2] . أما تفصيل الطريقة التى اختبر بها عثمان فاننا نجمله فى ما يلى :

بعد أن رأى عمر وسمع من حال الناس وحديثهم أنهم يريدون أن يوصى بالخلافة لبعض المسلمين ، وأنه إن لم

---

(١) تيسير الوصول لابن الربيع الزبيدى حـ ٢ ص ٥٢ .
(٢) الكامل لابن الأثير جـ ٣ ص ٢٧ .

يفعل فقد تكون فتنة ، وإن عدم عهد الرسول لأحد من الناس ، لأنه صاحب الشريعة ، وعمله سنة واجبة الاتباع وأيضا لعل الله سبحانه لم يوح إليه أن يستخلف بل : الحق أنه لم يوح إليه . وإلا لاستخلف اطاعة لأمر الله تعالى وعلى ذلك فقد عهد أبو بكر إلى عمر خشية فتنة الناس ، ولهذا أيضا آثار عمر بيعة واحد من هؤلاء الستة : على ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، ووضع لهم نظاما للبيعة حتى لا يختلفوا ، وتنشق عصا المسلمين ، وهم لا يزالون في ريعان دولتهم ومبتدأ أمرهم . قال عمر :

ما أرى أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله وهو عنهم راض فسمى علياً وعثمان ، والزبير وطلحة ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعدا رضى الله عنهم وقال يشهدكم عبد الله بن عمر ، وليس له من هذا الأمر شيء ـ كهيئة التعزية له ـ فان أصابت الأمارة سعدا فذاك وإلا فليستعن به أيكم ما أمر ، فانى لم أعزله من عجز ولا

خيانة . . فلما فرغ من دفن عمر . اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم . فقال الزبير قد جعلت أمرى الى على ، وقال طلحة قد جعلت أمرى الى عثمان ، وقال سعد قد جعلت أمرى الى عبد الرحمن بن عوف . فقال عبد الرحمن : أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله اليه ، والله عليه والاسلام . لينظرن أفضلهم فى نفسه . فأسكت الشيخان . فقال عبد الرحمن أفتجعلونه الى والله على والاسلام أن لا آلو عن أفضلكم . قالا نعم . فأخذ بيد أحدهما . فقال : لك من قرابة رسول (صلى الله عليه وسلم) والقدم فى الاسلام . ما قد علمت . فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن . ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك . فلما أخذ الميثاق قال : أرفع يدك يا عثمان فبايعه وبايع له على وولج أهل الدار فبايعوه[1] ، قال الذهبى[2] « اشتور أهل الحل

---

(١) تيسير الوصول حـ ٢ ص ٥٣ . المطبعة السلفية بمصر

(٢) دول الاسلام للذهبى جـ ١ ص ٩ مطبعة دائرة المعارف النظامية مدينه حيدر آباد الدكن

والعقد بعد عمر ثلاثة أيام ، واتفقوا على مبايعة عثمان بن عفان الأموى ـ رضى الله عنه وهو من بنى عم النبى (صلم) « ويقال له ذو النورين . لأنه زوجه النبى (صلم) بابنتيه . رقية ، وأم كلثوم ـ رضى الله عنهما . فسار بسيرة عمه ستة أعوام » .(١)

قال ابن الأثير(٢) « فلما دفن عمر جمع المقداد أهل الشورى فى بيت المسور بن مخرمة ، وقيل فى بيت المال ، وقيل فى حجرة عائشة باذنها ، وطلحة غائب ، وأمروا أبا طلحة أن يحجبهم وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب . فحصبهما سعد وأقامهما . وقال تريدان أن تقولا ان حضرنا وكنا فى أهل الشورى . فتنافس القوم فى الأمر ، وكثر فيهم الكلام فقال أبو طلحة . أنا كنت لأن تدفعوها أخوف منى لأن تتنافسوها . والذى ذهب بنفس عمر لا أزيدكم

---

(١) نفس المصادر السابق

(٢) الكامل فى التاريخ لابن الأثير الجزرى جـ ٣ ص ٣٦، ٣٧

على الايام الثلاثة التى أمر ثم أجلس فى بيتى فانظر ما تصنعون

وفي الحق أن بيعة عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ كانت غريبة فى شكلها وهيئتها كما أن كثيرا من الناس كانوا يرون أحقية غيره بها من أمثال على ـ رضى الله عنه ـ وقد الصقوا من أجل ذلك كثيرا من التهم للنيل من بيعته . فقد قيل أن عبد الرحمن بن عوف حابى عثمان ، لصهره وقرابته ولتكون له من بعده وقد رفع المقداد عقيرته قبل أن يفرغ الناس من البيعة بالاحتجاج على تصرف عبد الرحمن بصرف الامارة عن على وآل محمد (صلم) الى بنى أمية وعبد شمس ذلك والبيعة لم تتم بعد ، والامارة لم تكد يسلم بها على عثمان . ولعل الناس لحظوا فى عثمان فرط حيائه ، وبروزلينه مما لا يتناسب والبيئة العربية اذ ذاك .

بل لعله فوق ذلك . كانت فكرة التشيع لآل البيت وأنهم ظلموا غير مرة . قد تركزت فى نفوس كثير من القوم ، وصادفت هوى من نفوسهم فأرادوا أن يعطوا

الأمر أهله ، والقدس باريها ـ وأنه ليتبين لنا ذلك من حديث المقداد وغيره أثناء بيعة عثمان رضى الله عنه .

وإذن فلم يكن انتخاب عثمان باجماع من القوم ، وانما كان هوى لاغلب الناس ، مكنت له ظروف خارجية ، وأيده فعل عبد الرحمن بن عوف فى خلع نفسه من الامارة ، وان قام بها بتفويض من اخوانه حتى يختار لها الأصلح من بينهم بعد استيثاقه منهم ، ومن أنه سوف لايفضل ذا رحم لرحمه ولاصهرا لصهره ، وإنه سيفعل الموافق لمقتضى الحق والعدل والتقوي والاسلام.

ولكن هل فعل ابن عوف ما أخذ نفسه بأن يفعله ذلك ما سنعالجه فيما يأتى وعلى ضوء ما سلف أن قررناه .

بعد أن انضم الزبير الى على وسعد الى عبد الرحمن وطلحة [1] الى عثمان رأى عبد الرحمن ـ رضى الله عنه ـ أن

---

(١) كذا فى تيسير الوصول ، ولكن ابن الاثير الجزرى فى الكامل يذكر ان طلحة كان غائبا ولم يحضر الا بعد المبايعة

يحسم مادة الخلاف . فعرض عليهم اقتراحا وهو . من يخلع منهم نفسه من الامارة . على أن تكون له مدة الأيام التى حددها عمر لهم ، حتى يختار خليفة من بينهم، لا يألوهم جهدا فى تحرى العدل والحق ، ونبذ الجهل والعصبيه ، ثم رأيناه يتقابل مع المسلمين ، ويناقشهم فى عثمان وعلى ، ويتعرف رأيهم فيمن يصلح منها للامارة ، وهكذا مضى ابن عوف جادا فيما أخذ به نفسه من تعرف إرادة الأمة ، ومن توليه سلطانها ، وتمنحه تفضيلها من ذينك الرجلين ذوى الاسبقية والقدم فى الهجرة والاسلام .

هذا . ولم تمض الايام الثلاثة إلا ونرى عبدالرحمن يجمع الناس ثم يأخذ بيد على ، ويقول له . عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده قال على أرجو أن أفعل فأعمل بمبلغ علمى وطاقتى ـ ودعا عثمان فقال له مثل ماقال لعلى . فقال نعم نعمل فرفع

= لعثمان ، وعليه فلم يذكر القصة التى فيها انضمام بعض أهل الشورى الى بعض .

« عبد الرحمن » رأسه الى سقف المسجد ويده فى يد عثمان . فقال اللهم أسمع واشهد . اللهم انى قد جعلت مافى رقبى من ذلك فى رقبة عثمان . فبايعه فقال على . ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون ؛ والله ما وليت عثمان إلا ليرد الامر اليك ، والله كل يوم هو فى شأن ؛ فقال عبد الرحمن يا على لاتجعل على نفسك حجة وسبيلا ؛ فخرج على وهو يقول سيبلغ الكتاب أجله [١].

ذلك ما كان بين عبد الرحمن بن عوف و بين المرشحين للخلافة من اخوانه وزملائه أهل الشورى ، ومنه يبد وأن عليا ـ رضى الله عنه ـ كان غير مطمئن الى عبد الرحمن بن عوف . أن كان يرى نفسه أولى الناس بهذا الامر ، ولكنه وافق على رغم منه ، لانه كما قال للعباس عمه رضى الله عنه . أنه يكره الخلاف [٢] ـ وأما جمهور المسلمين من غير أهل

---

(١) ابن الاثير ج ٣

(٢) ابن الاثير ج ٣ وتيسير الوصول ج ٢ والطبرى فى تاريخ الامم والملوك

الشورى . فالظاهر أن كثيراً منهم كان قلقا من نتيجة هذا الانتخاب وبدا ذلك جليا فى حديث المقداد إبان البيعة لعثمان فقد قال المقدار لعبد الرحمن . أما والله لقد تركته « يقصد عليا » وانه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون ، فقال « عبد الرحمن » يامقداد . والله لقد اجتهدت للمسلمين . قال إن كنت اردت الله . فأثابك الله ثواب المحسنين فقال المقداد . مارأيت مثل ما أتى الى أهل هذا البيت بعد نبيهم إنى لأعجب من قريش إنهم تركوا رجلا ما أقول ولا أعلم ان رجلا أقضى بالعدل ولا أعلم منه . أما والله لو أجد أعوانا عليه . فقال عبد الرحمن . يامقداد اتق الله فانى خائف عليك الفتنة [1]

ذلك ـ وان هذه المحاورة على قصرها بين المقداد بن الاسود ، وبين عبد الرحمن بن عوف لتدل دلالة واضحة على ما كان يجيش بنفوس القوم من أفكار وآراء . ظهرت فيما

---

(١) ابن الاثير فى الكامل ج ٣

بعد ، واتسعت فى خلافة عثمان رضى الله عنه. عندماوجدت مرتها خصيبا من لين عثمان ، وحيائه الجم الذى لمسه فيه الرسول نفسه حتى قال « الا أستحيي ممن تستحي منه الملائكة »[٢] .

ثم أمر آخر نتبينه من محاورة العباس لعلى ، ومفاجأة أبى طلحة لهما وهما يتحادثان ـ وخلاصة الحديث . أن العباس بن عبد المطلب لقى عليا رضى الله عنه بعد أن خرج أهل الشورى لاول اجتماع لهم . فقال على . عدلت عنا ، فقال وما علمك ، فقال قرن بى عثمان ، وقال . كونوا مع الاكثر فان رضى رجلان رجلا ، ورجلان رجلا، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن فسعد لايخالف ابن عمه ، وعبد الرحمن صهر عثمان . لايختلفون فيوليها أحدهما الاخر ، فلو كان الاخران معى لم ينفعاني ، فقال له العباس لم أرفعك فى شيء إلا رجعت الى مستأخراً لما أكره . أشرت عليك عند

«٢» ابن الديبع الزبيدى ـ تيسير الوصول حـ ٢

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسأله فيمن هذا الأمر فأبيت فأشرت عليك بعد وفاته ان تعاجل الامر فأبيت وأشرت عليك حين سماك عمر فى الشورى أن لا تدخل معهم فأبيت . احفظ عنى واحده . كل ماعرض عليك القوم فقل لا إلا أن يولوك . واحذر هؤلاء الرهط . فانهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الامر حتى يقوم لنا به غيرنا ، وأيم الله لاينال إلا بشر لاينفع معه خير فقال على . اما أن بقى عثمان لاذكرنه ما أنى ، ولئن مات ليتداولنها بينهم ، ولئن فعلوا لتجدنى حيث يكرهون . ثم تمثل .

حلفت برب الراقصات عشية

غدون خفافا فابتدرن المحصبا

ليحتلبا رهط ابن يعمر فارسا

نجيبا بنو السداخ وردا محلبا

والتفت على فرأى أبا طلحة ، فكره مكانه . فقال أبو طلحة لن نراع أبا الحسن .

ونستطيع ان نستنتج من هذه المحاورة بين العباس

وعلى عدة أمور كان لها أثر فيما بعد فى مقتل عثمان رضى الله عنه ، بل وفيما نجم عن ذلك من نتائج وخيمة ، سمرت نار الحروب الاهلية شهورا واعـوا ما بين الذين كانوا بالامس الدابر كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى . فمن ذلك ان بذرة التشيع لال البيت كانت قد اختمرت فى أنفس كثير من عظماء الصحابة أمثال المقداد بن الاسود الذى جعله عمر بمنزلة الرقيب على هؤلاء المرشحين لعرش الخلافة ، والذى لم يكد يرى المبايعة لعثمان حتى يحتج على تصرف ابن عوف . وانه تخطى عليا بغير حق

وكذلك أبو طلحة الذى وكل اليه عمر ان يستعمل القوة فى أرغام المرشحين على انتخاب واحد منهم فى المـدة التى عينت لهم ، وانهم اذا اختلفوا ولم ينتخبوا واحدا من بينهم كان أبو طلحة فى حل من أهدار دماء المخالف منهم — هذا الرجل الذى كان بهذه المنزلة رأيناه يعطف على على وآل البيت فعند ما كان العباس يتحدث وعليا أطلع عليهما أبو طلحة وكرة مكانه على . فطمأنه أبو طلحة . وصارحه الحب والتفضيل

من هذه العبارة « لن تراع أبا الحسن [١] » مع أن عليا كان يتحدث والعباس فى منتهى الصراحة منتقدا السياسة للناس فى تفضيلهم غيرهم عليهم مع انهم أحق الناس بهذا الامر . ومعلنا أنه سوف يغامر بالاغضاء عن هفوات الناس هذة المرة ايضا . ولكنه سوف يخالفهم فى المستقبل اذا أصروا على هذه والسياسة التى وضعت الامور فى غير نصابها ومن هذه الامور أيضا . ان عليا رضى الله عنه كان يشعر بأنه قد ظلم . وخصوصا فى بيعة الشورى . فان عمر نفسه قد صرح بأنه كان يود أن يعهد الى الرجل الذى هو احرى ان يحملهم على الطريق . وهو على بن أبي طالب لولا أنه أنه عشى عليه فرأي حول على برا وفاجرا . فعدل عن البيعة له خاصة وجعلها شوري بين النفر الذين يعتقد أنهم رؤوس القوم وخيرهم والذين هم فى نظره لايبدلون الخبيث بالطيب ولو قل الطيب وكثر الخبيث . فوق أن رسول الله قال انهم من أهل الجنة .

---

(١) الكامل لابن الأثير جـ ٣ ص ٢٦

واذا كان بعض الناس يميل الى ان عليا رضى الله عنه ، لم يتلعثم فى البيعة لواحد من الثلاثة ، فان ذلك لم يكن الا لما صرح به على نفسه من أنه فقط ـ يكره الخلاف ـ والا فانه كان يرى أنه أحق الناس بهذا الامر وأن الذين يصرفونها عنه انما كانوا مخطئين فى هذا الصرف ، ولو بعض الخطأ ـ واليك رد على على عبد الرحمن عندما قبل هذا خلع نفسه من الخلافة قال عبد الرحمن . أيكم يخرج منها نفسه ، يتقلدها على أن يوليها أفضلكم ، فلم يجبه أحد ، فقال فأنا انخلع منها فقال عثمان أنا أول من رضى ، فقال القوم . قد رضينا ، وعلى ساكت ، فقال . ما تقول يا أبا الحسن ، قال اعطنى موثقا لتؤثرن الحق ، ولا تتبع الهوى ، ولا تخص ذا رحم ، ولا تألوا الامة نصحا ، فقال أعطونى مواثيقكم على أن تكونوا معى على من بدل وغير ، وأن ترضوا من اخترت لكم ، وعلى ميثاق الله أن لا أخص ذا رحم لرحمه ولا الوا المسلمين فأخذ منهم ميثاقا وأعطاهم مثله . فقال لعلى تقول انى أحق من حضر بهذا الامر لقرابتك وسابقتك ، أحسن أثرك فى الدين

ولم تبعد فى نفسك ، ولكن أرأيت لو صرف هذا الأمر عنك فلم تحضر من كنت ترى من هؤلاء الرهط احق به ، قال عثمان . وخلا بعثمان فقال . تقول شيخ من بنى عبد مناف وصهر رسول الله ﷺ وابن عمه ولى سابقة وفضل ، فأين يصرف هذا الأمر عنى ، ولكنه لو لم تحضر أى هؤلاء الرهط احق به . قال . على :

فانت ترى ان عليا كرم الله وجهه لا يتعجل الاجابة على ابن عوف لا بالايجاب ولا بالسلب ، وإنما يلتزم السكوت فى الوقت الذى يجيب عثمان بقوله « أنا أول من رضى » ثم يردفه القوم بأنهم أيضا رضوا ولكن عليا لا يزال مصرا على التزام الصمت حتى يوجه اليه عبد الرحمن الحديث مرة اخرى فيجيب على بأنه يوافق ، ولكن على أن يعطيه العهد والميثاق أن لا يتبع الهوى ، وأن لا يؤثر ذا رحم لرحمه ، ولا صهرا لصهره واذن فعلى كان — كما قلنا — غير مطمئن الى واحد من القوم لا يرى انه وحده احق بهذا الامر من سائر الناس ، وأنه ظلم ، وبغى عليه ، واليك حديثا آخر دار بين سعد بن

أبي وقاص ، و بين على يوضح لنا ناحية اخرى من النواحي التي كان يرى فيها على انه احق الناس بالخلافة من سواه : لقي على سعدا فقال له : اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام . اسألك برحم ابني هذا من رسول الله ﷺ وبرحم عمي حمزة منك أن تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيرا ، وهذا قبل ان يدور ابن عوف على الناس ليعرف اتجاهاتهم نحو على وعثمان : هذه جمل موجزة لبيان الكيفية التي انتخب بها عثمان لامارة المسلمين وما آحاط بها من عوامل ، وما بدا فيها من أغراض وغايات ، وفيها ايضا بيان موجز لصورة العصر الذي حدثت فيه هذه البيعة ، وعرض لبعض الشخصيات التي كان لها أثر بين فيما بعد في الثورة ، وفي الحروب الاهلية بين على ومعاوية ، وبين على وأصحاب الجمل ، ولا بد من تسجيل صورة ولو مصغرة لبعض هذه الشخصيات العثمانية والعلوية التي لعبت دورا مهما في انتخاب عثمان ، وفي بيعة على ، واليك ماحدث بالمسجد يوم البيعة لعثمان :

بعد أن جمع عبد الرحمن الرهط من أهل الشورى ،

وأهل السابقة والفضل من المهاجرين والأنصار وأمراء الاجناد . قال :

ايها الناس إن الناس قد اجمعوا على ان يرجع أهل الامصار إلى امصارهم . فأشيروا على فقال ، عمار أن اردت ان لا يختلف المسلمون فبايع عليا ، فقال المقداد ابن الاسود صدق عمار . أن بايعت عليا قلنا سمعنا وأطعنا ، وقال ابن أبي سرح . أن اردت ان لا تختلف قريش فبايع عثمان ، فقال عبد الله بن ربيعة . صدقت . ان بايعت عثمان قلنا سمعنا وأطعنا فتبسم بن أبي سرح فقال عمار متى كنت تنصح المسلمين ، فتكلم بنو هاشم وبنو أمية فقال عمار . ايها الناس . ان الله اكرمنا بنبيه واعزنا بدينه . فانى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم ، فقال رجل من بنى مخروم لقد عدوت طورك يابن سمية . وما أنت وتأمير قريش أنفسها . فقال سعد بن أبي وقاص . يا عبد الرحمن افرغ قبل ان يفتتن الناس فقال عبد الرحمن : إنى قد نظرت وشاورت . فلا تجعلن ايها الرهط على أنفسكم سبيلا : —

واذا كنا لا نحب أن نسهب فى التعليق على هذا الذى حدث بين عمار ومن على شاكلته ، وبين ابن ابى سرح ومن يتحزب له ، فانما ذلك . فقط لاننا نجل جميع الاصحاب الذين رشفوا من معين الوحي النبوى . أن تزل قدم بعد ثبوتها ، مهما اشتد بينهم خطب الخلاف ، وتفاقم عندهم سعير الاضغان لذلك سوف نمر — على كل ماحدث بين صحابة رسول الله ﷺ مر الكرام فنسجل ما يستحق التسجيل — من غير تعليق كبير — ونتبذ ما يستوجب النبذ — من دون أن نحقر أو نستهين ، اجلالا لصدر الاسلام واكبارا لسلفه القادة من أهل الايمان :

وبعد ان استقر الامر لعثمان بن عفان — رضى الله عنه — التفت الى شؤن الدولة الاسلامية ، فبدأ بمسألة عبيد الله ابن عمر وقد كان قتل قاتل أبيه أبا لؤلؤة (١) ، وقتل جفينة ، وقتل الهرمزان ، فلما ضربه بالسيف . قال :

---

(١) يروى ابن الاثير انه بعد أن قتل نفرا من الصحابة بعد عمر ، نحر نفسه بخنجره ولكن هذه رواية الطبرى

لا اله الا الله : فلما قتل هؤلاء أخذه سعد بن إبى وقاص وحبسه فى داره ، وأخذ سيفه واحضره عند عثمان ، وكان عبيد الله يقول . والله لا قتلن رجالا ممن شرك فى دم ابى يعرض بالمهاجرين والانصار . اما السبب الذى من اجله قتل عبيد الله هؤلاء جميعا . مع انه لم يباشر قتل عمر منهم غير أبي لؤلؤة ، فقد قيل — ان عبد الرحمن بن أبى بكر قال غداة قتل عمر — رأيت عشية أمس : الهرمزان ، وأبا لؤلؤة ، وجفينة ، وهم يتباحثون فلما رأونى ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه فى وسطه ، وهو الخنجر الذى قتل به عمر فلما سمع ابن عمر ذلك غضب وقتل هؤلاء جميعا فلما وَلِىَ عثمان . قال أشيروا على فى هذا الرجل الذى فتق فى الاسلام ما فتق فقال على رضى الله عنه — أرى أن تقتله . فقال بعض المهاجرين . قتل عمر بالأمس ويقتل ابنه اليوم ، فقال عمرو بن العاص . ان الله قد اعفاك ان يكون هذا الحدث ولك على المسلمين سلطان ، فقال عثمان . اناوليه ، وقد جعلتها دية وأحتملها فى مالى .

على انه قيل فى سبب اطلاق عبيد الله قصة أخرى يرويها ابن الاثير(١) وهى: قال الفهاديان ابن الهرمزان : كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها الى بعض . فر فيروز ابو لؤلؤة بالهرمزان ، ومعه خنجر له رأسان . فتناوله منه وقال ماتصنع به : قال ؟ استمن به . فرآه رجل . فلما أصيب عمر . قال . رأيت الهرمزأن دفعه إلى فيروز . فأقبل عبيد الله فقتله فلما ولى عثمان امكننى منه . فخرجت به ، وما فى الأرض احد الا معى . الا انهم يطلبون الى فيه فقلت لهم . الى قتله قالوا نعم ، وسبوا عبيد الله . قلت لهم افلسكم . منعة . قالوا لاوسبوه فتركته لله ولهم . فحملونى . فوالله مابلغت المنزل الا على رؤوس الناس .

هاتان روايتان أوردهما المؤرخون فى قصة اطلاق عبيد الله بن عمر ، وعدم قتله فى ثلاثة أراق دماءهم من غير

---

١) الكامل فى التاريخ جـ ٣ ص ٢٩ ، ٣٩

حق ظاهر ، اللهم الا فيروزا — على فرض حياته بعد طعن عمر — ولو كان فى قتلهم حق له ، لما كان ذلك اليه وإنما هو الى من [١] وكل اليه اقامة الحدود ، وتأمين السبل ، والزام كل حده ، وطوره ، لا جرم أن تمسك على بقتل عبيد الله وظل على رأيه (٢) ذلك حتى ولى الخلافة ، فطلب عبيد الله فهرب منه الى معاوية — رضى الله عنه

---

(١) قال ابو حنيفة ان القصاص لا يستوفى الا بالسيف يقصد ان الامام أو نائبه هو الذى ينفذ حكم القصاص لا الافراد واظن ذلك هو المتناسب مع أحكام الشريعة الاسلامية ، وإلا لكان الامر فوضى والشريعة تأمر بالنظام

(٢) تمسك على بعد ذلك دليل على أن عثمان لم يحكم به وهو صاحب الأمر على المسلمين ، فيكون حكما واجب النفاذ ، ولا يصح الرجوع فيه لمن يأتى بعده من الأئمة ، وقد يكون حدث ذلك لمجرد تهدئة الثورة . ودفع المفسدة مقدم على جلب المصلحة — اذ « لا ضرر ولا ضرار » ولما رأى على بعد ولايته ان قد هدأت الفتنة بهذا الامر طلب عبيد الله بن عمر ، فلذلك هرب وآواه معاوية ، وظل عنده حتى قتل فى الحرب بينه وبين على فى صفين =

ذلك ... ولا بد من المقارنة بين الروايتين ، وما تلقى كل منهما من شعاع على مقتل عمر ، ثم ما يتبين من خلالهما من قصد اتهام الهرمزان وجفينة ، ومشاركتهما لفيروز ، أو تبرئتهما ، ونفى التآمر عنهما

اما فى الرواية التى تثبت التهمة على الهرمزان وجفينة ، فانها تحكى عن بعض الثقات الذين لا غرض لهم من ورائها

= هذا ولعل عليا كان يرى خطأ عثمان فى هذا الحكم ، وانه حكم فى رأيه بغير ما انزل الله ، لان عبيد الله قتل جماعة بعضهم اظهر اسلامه وقت قتله وهو الهرمزان ، والآخر اقل ما فيه انه له ذمة فى اعناق المسلمين ، ما ينبغى ان تخفر ولا حجة له فى قتلهم فانى لعلى ـ رضى الله عنه ـ ان يتجاوز عن مثل هذا الدم الذى اريق من غير خفة ، وهو يعلم ان طاعة الخليفة فى هذا غير واجبة ، اذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، وقد قال الله سبحانه « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب ، وقال « النفس بالنفس » الآية فلعلى كل الحق ، ولعثمان شىء من العذر ، وغفر الله لعثمان ورضى الله عن على ، وعن سائر السابقين الأولين من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان

وهو شاهد عدل لما رآى ، وقد أخبر بأنه رآى هؤلاء الثلاثة يتناجون ومعهم شيء بينهم فلما رأوه ثاروا فسقط منهم خنجر له رأسان وهو الذى قتل به عمر رضى الله عنه

نعم — قد يقال . لماذا لم يلتقط عبد الرحمن هذا الخنجر مادامو قد ثاروا لرؤيته ، ولم يثبتوا مكانهم . مما يدل على انهم شارعون فى أمر ربما قلب الدولة الاسلامية ، ولعل عبد الرحمن كان خالى الذهن من مثل هذه المؤآمرات ، فهو لم يعهد امثالها كثيرا فى البيئة الاسلامية ، كما انه كان يستبعد مثل هذه الافكار أن تسكن فى رؤوس نفر اذلة بين قوم سادة أعزة لو أنهم فعلوا لقطعوا اربا ، ولمزقوا بددا

وأما فى الرواية ، الأخرى . فانها . مع اثباتها اصل الاجتماع — تنفى أن يكون بقصد التآمر منهم جميعا ، وإنما هو استرواح بعض العجم الى بعض ، ولم يكن إمساك الهرمزان بالخنجر للتثبت من قيامه بمهمة صاحبه ، وإنما هو مجرد الاستطلاع فقط ، كما أن جفينة ايضا كان جاهلا كل الجهل بما حدث حتى قتله عبيد الله وهذا فوق أن فى الرواية الأخيرة

كثيرا من التكلف — ونواحى من اللف والدوران — على انها تروى عن ابن الهرمزان نفسه ، وكأنه أن يريد ينفى عن ابيه تهمة التآمر على رئيس المسلمين خشية منه وحذرا — لذلك يقول ابن الاثير . والأول اصح في اطلاق عبيد الله . لان عليا بعد ذلك طلبه فهرب منه الى معاوية بن ابى سفيان

على أن أمرين آخرين لا بد من تفنيدهما قبل مغادرة هذه المسألة : وهما

١ ـ هل حدث قتل عبيدالله لهذا النفر وقت وفاة عمر أو بعدها ٢ ـ هل اشترك كعب الاحبار فى هذه المؤامرة الخطيرة ولماذا لم يتعرض له ابن عمر كما تعرض لصاحبيه ، مع أن التهمة له أظهر

١ — اما عن المسألة الأولى . فانه ليخيل الينا . أن القتل لهؤلاء الفرس انما حدث بعد موت عمر . فاننا لانجد رأيا له رضى الله عنه . فى مثل هذه المسألة على خطورتها ، على أن الهرمزان ليس بالشخصية المجهولة . فهو قد كان من عظماء فارس ، وهو أيضا لا يزال موضع اجلال عمر ، يستشيره

ويأخذ برأيه في كثير من مشاكل الفرس الداخلية وغيرها وجفينة ظهير لسعد بن مالك

على أننا اذا قطعنا النظر عن كل اعتبار آخر . نرى أن الهرمزان عندما ضربة ابن عمر . يقول : لا اله الا الله ، فمعنى ذلك أنه أسلم ، وأنه لا يحل لعبيد الله قتله ـ الا بحق ولا حجة على تلوث الهرمزان بدم عمر . فأنى للمسلمين ـ وهم لم ينأ بهم الزمن بعد عن صاحب الشريعة ـ ان يروا مثل هذا الدم يراق بغير حقه . ولا يقتصون من القاتل . وسيما عمر فعمر إذن لم يكن موجودا وقت قتل الهرمزان وصاحبه ـ أو صاحبيه والا لرأينا منه موقفا آخر يتناسب ومواقفه الحاسمة فى تاريخ الاسلام ثم انه يوجد هناك دليل آخر يؤخذ ضمنا من حديث المؤرخين بصدد هذه المسألة ـ فقد روى : أن عبيد الله لما قتل الهرمزان وجفينة وأبا لؤلؤة (١) أيضا لحقه سعد بن وقاص . فقبض عليه وحبسه وأخذ منه السيف

---

(١) هذا على القول بعدم انتحاره بخنجره وقت الحادث

وأحضره الى عثمان (١)

واذن فلم يحضره سعد الى عمر ، ولم يحضره كذلك الى أهل الشورى جميعا وانما أحضره الى عثمان. والى عثمان بالذات وأظنك تعلم ان عثمان انما تولى الخلافة بعد موت عمر بأيام ولذلك رأينا عثمان يأمر باحضار عبيد الله . ويستشير كبار الصحابة . ثم يرفض الرأى القائل بقتل عبيد الله . ويجعل عوض القصاص دية يحتملها فى ماله ـ حيث هو صاحب الامر : والمهم من ذلك كله . أن عمر لم يكن حين قتل ابنه عبيد الله بعض رجال من فارس .

أما عن مسألة « كعب الاحبار » واشتراكه فى التآمر على عمر ، فان من العسير على من يقرأ قصته باهتمام أن يخلى طرفه من هذه التهمة ؛ وأن صح مايروى عنه مع عمر ، فانه يكون ـ بلا ريب ـ من أبطال هذه المؤامرة الخطيرة بل لعله الروح الفعالة فى حبكها وأحكامها ، واليك خلاصة هذه القصة .

« ١ » الكامل لابن الاثير حـ ٣

بعد حوار وجيز بين عمر - رضى الله عنه - وبين فيروز غلام المغيرة بن شعبة ، شاكيا الى عمر كثرة خراجه وقله ايراده - ثم مصرحا بكلمات فهم منها عمر روح التهديد والوعيد ، وان كان لايعبأ بمثلها ومثل المصرح بها . لظروف الناس وقتئذ - بعد هذا غدا اليه كعب الاحبار ، وقال له . يا أمير المؤمنين انك ميت بعد ثلاث فاعهد ، فقال له عمر ، وما عرفك هذا ، فيقول كعب انه يجد هذا في التوراة ، ثم يكرر كعب الاحبار هذه النصيحة لعمر مرتين أخريين ، وفى اليوم الثالث تقع الجريمة الشنيعة من فيروز غلام المغيرة ثم يدخل كعب على عمر فيمن يدخل من الناس ، فما يكاد عمر يراه حتى يقول .

توعدنى كعب ثلاثا أعدها

ولاشك أن القول ماقال لى كعب

وما بى حذار الموت أنى لميت

ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

هذه هى القصة كما يرويها المؤرخون ، والغريب المدهش

أن تروى على انها من الامور العادية التى يسوغها العقل ، ولا ينبو عنها المنطق ولكن لو اننا سلطنا عليها شيئا من عصارة الافكار الاسلامية ، ووضعناها فى ميزان النقد والتحليل التاريخى لتبين لنا انها موضوعة من أساسها، مقوله على السنة طالما كادت للاسلام ، وبغته عوجا

ذلك . وان الناظر فى هذه القصة ، أو بالحرى الاسطورة ليرى فيها . أن عمر كان رجلا من رجال التصوف فى الايام الاخيرة ، يصدق كل مايلقى اليه ولا يأبى أن يستمع الى حديث الغيب ، وان يوافق المتحدث به ، وتصور القصة لنا كعب الاحبار بصورة الرجل الناسك الزاهد الخائف على الاسلام والمسلمين فى شخص أميرهم ورئيسهم كما انها تدعو من طرف خفى الى الايمان بكتب اليهودية ، وتقديس هذه التوراة التى يستند اليها الاحبار من اخوان كعب ووهب ، وابن السوداء ، وان ذكر الكتاب أن التوراة والانجيل لحقها التبديل والتغيير ، وان اليهود بنوع خاص يحرفون الكلم عن مواضعه ، وانهم من شر خلق الله انسانا وان الله سبحانه قد

غضب عليهم ولعنهم ، وجعل منهم القردة والخنازير ، ومن عبد الطاغوت .

فمن غير الممكن عقلا ان نسلم بهذه القصة على علاتها ؛ بل . أما أن يكون لكعب ضلع فى هذه المؤامرة وأراد تبرئة نفسه . فقال ذلك ؛ فلم يعره عمر اهتماما ، تحقيرا لشأنه ـ على أن يكون الثابت هو ـ فقط ـ أصل القصة ؛ لا هذا الخضم من الاكاذيب والمفتريات التى حشيت بها القصة .

وأما أن تكون القصة مختلقة ؛ والغرض منها . هو الغاية من كل ما وضعه اليهود والنصارى ومن لف لفهم . من لفت الناس عن الاسلام . بادخال الخرافات فيه . والنيل من الشخصيات التى قام عليها . وتصوير القادة الذين نشروه بصور خيالية تشمئز من سماع الحديث عنها والعقول الصافية والالباب الناضجة .

(ولنا عودة لتوفية الموضوع فى فرصة مستقبله ان شاء الله)

تم القسم الاول (ا) ويليه الاول (ب)

وأوله : حروب عمر رضى الله عنه

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣	١١	واولئك هم الرجال	وأولئك الرجال
٤	٨	مجرده من الحق	مجرده إلا من الحق (المقدمة)
٦	١١	بتشاورون	يتشاورون (الخلافة)
٨	٨	طوفى	طرفى (بيت الخليفة)
٩	٧	تعاليقه	تعاليمه (بيت الخليفة)
١٦	١١	أيا حسن	أبا حسن
١٧	١	وتطعن	ونطعن
١٧	٤	لا اعتذار	لا أعتذر
١٧	١١	مساهموا فى	ساهموا فى
٢٠	١	الزمر	الزمن
٢١	١٣	التخصص	التخصيص
٢١	١٦	والبيت الحرام	البيت الحرام
٢٢	٦	التخصص	التخصيص
٤٠	١	الغرب	العرب (حاشية)
٤٠	١٦	الاذارة	الادارة
٤٣	٨	قصل	فصل
٤٣	١٢	تظهرهم	نظرهم
٤٣	١٣	ليتظهروا	ليظهروا

صحيفة	سطر	الخطأ	الصواب
٤٣	١٣	من أول	أول من
٥٠	٩	يعيد مجدا	يعبد مجدا
٥٠	١٣	سيجرى	سيجزى
٥١	١٤	وحديث	أو حديث
٥٨		الربيع (حاشيته)	الديبع (حاشية)

ويقاس عليها اشباهها من الاخطاء الأخرى اذ رغم كثرة المراجعة والتصحيح لم نقو على معالجة السرعة التى استعملناها لاخراج هذا الجزء . وماتوفيقنا الا بالله ؟